نهايات غير مُتوقَّعة

قصص بوليسية شديدة الغموض تتحدى ذكاءك

فريق متميزون E-BOOK

م. عبدالوهاب السيد الرفاعي





الطبعة الأولى


فريق
متميزون
E-BOOK

كلمه مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما امكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج اكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين ايديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون)

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

نهايات غير متوقعة

عبد الوهاب السيد الرفاعي

تنويه

يسألني القراء باستمرار ودون توقف عن مدى واقعية القصص التي أكتبها.. ولهؤلاء الأعزاء أقول: أعتذر بشدة عن الإجابة لأسباب لا مجال لذكرها.

مقدمة المؤلف

عزيزي القارئ..

لقد كنت أحرص دوما على التنويع عند كتابة أي مجموعة قصصية.. فتكون هناك قصص رعب.. وأخرى بوليسية.. وأخرى من الخيال العلمي.. إلخ.. محاولة مني لإرضاء جميع الأذواق.. لكن.. ولأنني أحب التنويع أيضا.. فقد قررت تخصيص هذا الإصدار للقصص البوليسية فقط.. آملا أن تنال هذه التجربة إعجابك.

سأنتظر ردود الأفعال دون شك في وسائل التواصل الاجتماعي بعد الانتهاء من قراءة هذا الإصدار.. وسأتابع باهتمام كل نقد أو مدح يصلني.. فرأي القارئ العزيز هو الذي يقودني إلى تطوير كتاباتي لتقديم الأفضل.

والآن.. سأتركك مع هذا الإصدار البوليسي المعتَّق والمركَّز.. مع رمي قفاز التحدي لتخمين نهايات القصص قبل الوصول إليها.. فهذا ما يميز القصص البوليسية عموما.. نهاياتها.. غير المتوقعة.

شكر خاص إلى كل من

سيادة الرائد/ أحمد خلف الخلف

و

المحامية/ شهد محمد أسد

من مكتب القطامي والجريوي

للمحاماة والاستشارات القانونية

على كل المعلومات القانونية التي ساعدت على خروج هذا الإصدار في أفضل صورة.

مقدمة (سالِم)

لا يخفى عليكم أن ملفات الشرطة في كل مكان في العالم تمتلئ بالقصص التي تفجّر فينا مشاعر اللهفة والتوتر والغموض.. فالإثارة جزء دائم من حياة أي رجل أمن.. حتى في أكثر دول العالم أمنا واستقرارا.. وأعلم أيضا أن فكرة نشر القصص البوليسية قديمة للغاية.. لكنها لا تفقد رونقها رغم ذلك.. وقد بدا هذا واضحا من الشخصيات البوليسية العالمية التي نعرفها جميعا.. وأشهرها دون شك (شيرلوك هولمز).. أو حتى في الأدب العربي.. كأبطال سلسلة (المغامرون الخمسة) التي عاصرت 3 أجيال تقريبا، والتي عشقتها في طفولتي وتأثرت بكل أبطالها.. ثم جاءت سلسلة (ع 2x) للدكتور الراحل (نبيل فاروق)، وجعلت حلم حياتي أن أصبح ضابطا في المباحث الجنائية تحديدا.. وذلك لشدة استمتاعي بحل الألغاز البوليسية وحب التحدي العقلي الذي يصاحبها.

وقد كان لي ما أردت.. حيث التحقت بكلية الشرطة وتخرجت منها بتفوق بعد اهتمامي الشديد بدراستي مع تفوقي البدني أيضا، بسبب حرصي الدائم على ممارسة الرياضة.. لأتدرج بعد ذلك في مهنتي وأحصل على رتبة مقدم وأنا في ال 33 من العمر.. وهو عمر صغير نسبيا.. فقط لأنني أبذل كل جهدي في عملي الذي أحبه، رغم الجرائم البشعة التي أشهدها بين الحين والآخر.. والتي تتعارض مع شخصيتي الهادئة البسيطة المسالمة كما يقول الجميع.. لكن يكفي شعوري براحة الضمير حين أقوم بحل أي لغز، ومن ثم القبض على قاتل أو سارق.. فأرى نظرات الاحترام والتقدير من الجميع.. حتى إنَّ الكثيرين حاولوا وبكل صدق تقديم الهدايا لي نظير جهودي.. لكني أعتذر وأؤكد لهم أنني لا يمكن أن أقبل الهدايا نظير القيام بواجبي.

ولحسن الحظ فإن الجانب الاجتماعي من حياتي يساعدني كثيرا على النجاح في عملي.. فزوجتي الغالية (فجر) تقف معي وتساندني دوما.. بل وأجد فيها آذانا صاغية حين تراني محبطا حزينا بسبب ضغوط العمل.. لذا أستطيع القول أنني أعيش زواجا ناجحا مرت عليه 5 سنوات، بذل فيها كلانا كل جهده لتستمر علاقتنا بهذا الحب والاحترام المتبادل.. علما بأننا أرجأنا موضوع الإنجاب قليلا، كوننا لم نستعد ماديا ونفسيا لوجود طفل في حياتنا.. كما أن (فجر) تبذل جهودا كبيرة حاليا في استكمال دراساتها العليا على أمل الحصول على الماجستير ثم الدكتوراه.

ومع مرور الأيام.. وانغماسي التام في عملي.. فكرت في كتابة ونشر أغرب الجرائم والقصص التي صادفتها في مسيرتي الأمنية.. لكني تراجعت خوفا من سخرية الأقارب والأصدقاء، وأن يطلقوا علي ألقابا مضحكة مثل (المحقق كونان) وغيرها.. إلا أنني في النهاية -ومع ترحيب زوجتي بهذه الفكرة- وجدت أن لا ضرر أبدا من نشر القصص.. لذا جلست ذات ليلة.. وبدأت أكتب.. وأكتب.. وأختار القصص التي تستحق النشر.. إلى أن انتهيت من صياغة هذه المجموعة القصصية التي ستوضح لكم جوانب كثيرة مخيفة عند البشر الذين لا يتورع بعضهم عن القيام بأبشع الأفعال نظير المصلحة الشخصية.. حتى وإن وصل الأمر إلى السرقة أو القتل أو التآمر على الآخرين.

ويجب أن أذكر هنا أنه من المستحيل تقريبا الفصل بين حياتي الخاصة وحياتي كرجل أمن.. فهناك دوما من الأقارب أو الأصدقاء من لديه قصة أو حادثة معينة يرغب في نقلها إلى مسامعي.. أحيانا طلبا للمساعدة والنصيحة.. وأحيانا أخرى من باب كسر الجليد -كما يقول الإنجليز- وفتح موضوع للحديث أثناء التجمعات العائلية.. لذا فإن القصص التي ستقرؤونها متنوعة في طريقة سردها وأحداثها.. تتراوح بين قضايا عشتها وكان لي دورٌ بارزٌ في حلها.. وقضايا أخرى وصلت إلى

مسامعي فحسب.. ووجدت فيها الغموض والتشويق الذي قد ينال رضاكم.

لقد بذلت جهدا كبيرا في جعل القصص مسلية تتحدى تفكيركم.. وتضعكم في حالة تخمين لا يتوقف.. لذا سيسعدني كثيرا خوضكم هذا التحدي.. حتى لو كسبه بعضكم وعرف نهايات القصص قبل وصوله إليها.. فهذا سيعني أنني ساعدت القارئ على إعمال عقله على الأقل وتحليل الأحداث بنفسه.. مما يعني إضافة مهارات عقلية وحياتية إلى رصيده المعرفي.. وهذه ميزة القصص البوليسية.. خاصة لو احتوت على نهايات غالبا ما تقلب أحداثها رأسا على عقب.. نهايات غير متوقعة.

المقدم/سالِم فهد ال...

بصمة

لم يكن يوما عاديا.. حين تلقيت ذلك البلاغ بوجود جريمة قتل في منطقة (....) السكنية.. والتي تقع ضمن نطاق سلطتي.. فمن النادر حدوث جرائم قتل في المناطق السكنية.. خصوصا هذه المنطقة التي اشتهر أصحابها بالثراء.. لذا خرجت مسرعا برفقة بعضٍ من أفراد الشرطة.. لنصل متزامنين تقريبا مع سيارة الإسعاف.. ونرى بعض الأهالي الذين تجمعوا حول المكان.. في حين اتجه إليهم رجالي مباشرة لإبعادهم وتهيئة الأجواء لي ولرجال الأدلة الجنائية الذين كانوا في طريقهم إلينا كذلك.. وفي مشهد يتكرر دائما وأبدا في كل مكان في العالم عند حدوث الجرائم في مناطق مأهولة بالسكان.

كان انطباعي الأول حين وصلت إلى البيت.. فخامته الشديدة التي تدل على ثراء صاحبه.. وقد تأكدت من ذلك حين قرأت اسم المالك الذي نُقش على يافطة أنيقة وضعت على الباب.. ولم يتطلب الوقت كثيرا لأعرف أن المالك هو تحديدا من تعرض للقتل.. هذا ما أخبرني به ابن شقيقه الذي وجدته جالسا في الصالة الرئيسية مرتديا الزي الوطني (الدشداشة) وقد رفع أكمامها قليلا.. متجاهلا ارتداء الغترة والعقال.. مما كشف عن شعره القصير المختلط قليلا بالشيب.. إذ علمت أنه هو الذي اتصل بالشرطة بعد أن اكتشف الجريمة.. لكني لم أوجه له أي أسئلة.. بل صعدت إلى الطابق الثاني حيث القتيل.. فوجدته على فراشه مصابا بطلق ناري في قلبه.. والدماء لوّثت كل شيء حوله.

رحت أتأمل الغرفة جيدا.. لأرى أنها لا تقل فخامة عن كل شبر من هذا البيت.. ناهيكَ عن تلك النافذة الكبيرة التي تطل على الشارع العام.. ثم:

-هل تظن أن القاتل من أقارب القتيل يا سيدي؟!.. إنني أرجح ذلك.. فقد أخبرنا ابن شقيق القتيل أن شيئا لم يسرق من البيت.. دعك من أن القتيل لم يكن يحتفظ بأشياء ثمينة هنا أصلا.. مما ينفي عملية السرقة.

قالها أحد رجالي باحترام.. فقلت بشرود:

-سيتضح الأمر حين نستجوب ابن شقيقه هذا؟!.

نزلت إلى الطابق الأرضي بعد وصول رجال الأدلة الجنائية ليقوموا بمسح المكان بحثا عن أي شيء غير عادي.. أو حتى بصمات دخيلة لا تنتمي إلى البيت.. وإن كنت أعرف أنه مجرد إجراء روتيني لن يقدم لنا أي فائدة.. فقد تعلمنا من القصص والروايات -وحتى من السينما- أن أي مجرم أو سارق عليه ارتداء قفاز قبل ارتكاب جريمته.. لكن من يدري؟!.

وصلت إلى الصالة الرئيسية.. لأجد ابن شقيق القتيل جالسا ينفث سيجارته بعمق وينظر إلى السقف بشرود.. فألقيت عليه التحية.. وجلست مقابلا له.. ثم قلت بهدوء:

-لقد علمت أن اسمك (زيد).. وأنك تعيش هنا.. أليس كذلك؟!.

هز رأسه موافقا وهو ينفث دخان سيجارته بطريقة استفزازية.. لكني حافظت على هدوء أعصابي.. لا أفهم لماذا يتصرف معظم من يثقون ببراءتهم بهذه الطريقة مع رجال الشرطة؟!.. ناهيك عن أنه ابن شقيق القتيل، ويفترض أن يشعر بالحزن لمقتل عمّه.. هذا إن لم يكن هو

خلف الأحداث طبعا، ومسؤولا عن تلك الجريمة.

عموما.. تجاهلت أسلوبه.. وطلبت منه أن يحدثني قليلا عن القتيل.. ليقول ببرود:

-أنا ابن شقيقه.. وأنا أقيم هنا مع شقيقي بعد وفاة والدي منذ أكثر من سنتين.. ولا يوجد للقتيل أي أشقاء أو أبناء أشقاء آخرين.. أي أننا كل عائلته إن صح التعبير وبمثابة أولاده.. خاصة وأنه قضى سنوات عمره ال 60 بلا زواج بسبب وجود موانع للإنجاب كما أخبرنا بنفسه ذات مرة.. وقد اشتهر بانعدام ثقته بالجميع.. وربما هذا ما جعله يعزف عن الزواج؛ لعلمه أن أية امرأة ستقبل الزواج منه متجاهلة هذا العجز.. فهي بكل تأكيد تطمع في أمواله.

سألته متجاهلا كل ما قاله:

-غريب أنني لا أراك حزينا.. أو على الأقل مصدوما لمقتل عمّك!!.

رد دون أن ينظر إلي:

-تستطيع أن تقول أنني تجاوزت الصدمة.. فقد كشفت وجود الجريمة منذ ساعتين تقريبا.. أو.. ربما لا أشعر بالحزن الشديد تجاه عمّي.. فهو لم يكن بالرجل الخير أصلا.. بل كان قاسيا بغيضا في تعامله معي ومع شقيقي، رغم أننا ورثته الوحيدون وندير أعماله بالكامل وبكل إخلاص.. صحيح أنه كان يمنحنا رواتب مجزية.. لكنا ظللنا نشعر دوما أننا نستحق أن نكون شركاء في أعماله كذلك.. المشكلة أنه لم يكن يثق بأحد.. ولا حتى بي أو بشقيقي.. إذ كان يتابعنا بصورة دورية كي يتأكد أننا لا نسرقه.

سألته باستغراب:

-ماذا عن شقيقك؟!.. أين هو؟!.

قال بغموض:

-لقد علم بأمر الجريمة منذ قليل فحسب.. سيصل إلى هنا في أي لحظة.

عقدت حاجبي مفكرا وأنا أطلب منه أن يبقى في مكانه.. ثم اتجهت إلى المطبخ حيث الخادمتين مع السائق ينتظرون وصولي للتحقيق معهم.. وقد بدا عليهم التوتر شأن كل وافد جاء من أجل رزقه ويخشى الوقوع في المتاعب.. لذا كنت مبتسما وأنا أطرح عليهم بعض الأسئلة التقليدية بطريقة ودية.. وإن كنت لم أحذفهم من قائمة المشتبه بهم رغم التقارير الأولية التي حصلت عليها من السجل الجنائي لكل منهم.. فهؤلاء جاؤوا من بلدانهم منذ سنوات للعمل فحسب.. ولا توجد في صحيفتهم الجنائية أي مخالفات قانونية.. والواقع أن استجوابهم -كما هو متوقَّع- لم يقدم أي فائدة.. فقد سمعوا جميعا صوت الطلق الناري في غرفة نوم القتيل.. وبعدها بلحظات سمعوا صراخ (زيد) وهو يناديهم بذعر ويطلب منهم التأكد من عدم وجود أي دخلاء في البيت.. ليتصل بعد ذلك بالشرطة.. وهو بالضبط ما قاله لي.. و:

-سيدي.. شقيق (زيد) وصل.

قالها أحد رجالي.. لأنهض من مكاني مسرعا، وأترك المطبخ متجها إلى الصالة الرئيسية من دون أن أتوقع أبدا ما سأراه!!.. فقد كانت المفاجأة كبيرة بالنسبة لي.. بل مذهلة!!.. حتى إنّ خطواتي السريعة توقفت فجأة وأنا أحدق بشقيق (زيد) وقد انعقد لساني.. ليقول (زيد) ساخرا:

-أعرف وقع المفاجأة عليك.. هذا حال كل من يرانا معا للمرة الأولى.. فنحن توءمان متماثلان!!.

مد شقيق (زيد) يده مصافحا بكبرياء شديد، وهو يقول معرفا نفسه:

-اسمي (زياد).. لقد سمعت بنبأ وفاة عمّي للتو فجئت مباشرة.

سألتهما وأنا ما زلت أنظر إليهما معا:

-هل اعتدتما ارتداء نفس الثياب؟!.

ابتسم (زياد) بطريقة استفزازية ساخرة وهو يقول:

-نعم.. لقد اعتدنا ذلك.. يجب أن يكون لديكَ توءم متماثل كي تفهم علاقة التوائم ببعضهم.

شعرت برغبة عارمة بلكم كل منهما في وجهه.. واضح أنهما يتعاملان مع الجميع بدونية كونهما من عائلة معروفة وثرية، أما أنا فبالنسبة لهما مجرد موظف بسيط لا يملك سوى راتبه.. وإن كنت ضابط شرطة.. لكني تمالكت نفسي وقلت صراحة:

-كما أخبرني (زيد).. فإن عمّكما لم يتزوج.. ولا يملك سوى شقيق واحد (والدكما) وقد توفاه الله منذ سنتين تقريبا.. أي أنكما الوريثان الوحيدان لعمّكما.. والمستفيدان الوحيدان أيضا من موته.. لكن يجب أن تدركا جيدا تلك الحقيقة.. أن القاتل لا يرث ضحيته أبدا.. هذه قاعدة قانونية معروفة.

رد (زيد) بقسوة:

-تذكر أنك في بيتنا.. لا أسمح لك باتهامنا بقتل عمّنا.. هل تعرف عائلتنا؟!.. هل تعرف تاريخها في هذا البلد؟!.

قلت بقسوة مماثلة، وقد اعتدت مواقف كتلك:

-أنا لست هنا بناء على دعوة منكما.. بل رغما عن أنفكما معا.. إنني أحقق في جريمة قتل.. تذكرا ذلك جيدا.. ولا أستبعد أبدا أن يكون القاتل أحدكما.. أو كلاكما.. هذا ما يقوله المنطق.. لكن علي أن أجد الدليل أولا.

رد (زيد) باستفزاز:

-تستطيع أن تحاول.

ظلت أعيننا متلاقية وكأننا سنخوض نزالاً في الملاكمة بعد قليل.. إلى أن قطع هذا التوتر أحد رجال الأدلة الجنائية وهو يستأذنني في التحدث.. فطلبت منه أن يقول ما لديه أمام الشقيقين.. و:

-لقد عثرنا على بصمة ([1]).. أو بالأحرى.. ربُـع بصمة على مقبض باب غرفة القتيل!!.

سألته مستغربا:

-وما الفائدة؟!.. من الطبيعي أن توجد بصمات جميع من في البيت.. إلا إذا كانت البصمة لشخص غريب.

رد بلهفة:

-لكنها بصمة حديثة.. ويبدو من أثرها وكأن صاحبها كان مستعجلا للغاية.

قلت في شك غير مصدق أن القضية قد تنتهي بهذه البساطة:

-هل يعقل أن يرتكب القاتل خطأ ساذجاً كهذا؟!.. ثم.. كيف عرفت أن صاحب البصمة كان مستعجلا؟!.

قال بلهجة من يعرف عمله جيدا:

-كما ذكرت لك.. لأنها لم تكن بصمة كاملة.. بل ربُـع بصمة.. وبدت مسحوبة بطريقة توحي أن صاحبها كان مستعجلا بالفعل.. تماما كما يحدث لبقعة من الأتربة حين تدوس عليها سريعا كيلا يتسخ حذاؤك.

قلت متجاهلا هذه التفاصيل:

-هل يعني كلامك أن بإمكاننا معرفة هوية القاتل؟!.

هز رأسه بأسف وهو يؤكد أن هذا مستحيل.. فقلت بحدة:

-ربما توجد طريقة لو فحصت البصمة جيدا.

كدت أن أبصق بوجهه حين رد بثقة مؤكدا أن هذا غير ممكن.. لقد أردت منه مسايرتي على الأقل وادّعاء أن بإمكانه كشف هوية صاحب البصمة.. فربما ينهار أحد الشقيقين اللذين استمعا إلى هذا الكلام ويعترف بارتكاب الجريمة.. مما جعلني أسأله بشيء من الحدة عن سبب إبلاغي بذلك طالما لا توجد فائدة مرجوة من الأمر.. ليقول مغمغما أنه من الغريب ترك جزء صغير من أي بصمة بهذه الطريقة على مقبض الباب.. فأجبته متنهدا:

-من الطبيعي أن يكون القاتل مستعجلا.. لهذا وجدت جزءا من بصمته بالطريقة التي وصفتها.. لا شك أن ذلك قد حدث أثناء خروجه من الغرفة وغلقه للباب.

وضع إصبعه أمامي وهو يقول:

- ولكن.. البصمة -أو ربُـع البصمة إن أردنا الدقة- كانت على مقبض الباب الداخلي.. وليس الخارجي!!.. لاحظ أن القتيل كان مرميا على الفراش في منتصف الغرفة بعيدا عن المقبض بعد أن تعرض لإطلاق النار.. وهذا ينفي احتمال أن تكون هذه بصمته أثناء محاولاته الخرقاء للخروج والاستنجاد بأحدهم مثلا.. إنها جزء من بصمة القاتل على ما أظن.. ولا أعرف ما يعنيه ذلك.. المعذرة.. فهذا عملك.. أردت فقط توضيح الصورة كاملة لك.

أشحت بنظري إلى الجهة الأخرى بشيء من السخط، وقد شعرت بخيبة أمل بعد أن ظننت أن حل القضية قد جاء على طبق من ذهب.. لكن يبقى السؤال مطروحا بالفعل: لماذا يضع القاتل جزءاً من بصمته على مقبض الباب الداخلي؟!.. هل من الممكن أنه نسي ذلك؟!.. ولماذا لم يرتدِ قفازا مثلا؟!.. غرق عقلي في هذه التساؤلات دون إجابة.

ثم.. أطلق (زيد) ضحكة ساخرة تجاهلتها، وقد بذلت جهدا خارقا للحفاظ على أعصابي.. ليقول بعد ذلك:

-حتى لو عرفت هوية صاحب البصمة.. لن يتغير شيء.. عموما فأنا أو شقيقي لا ندخل أبدا غرفة عمّي.. إنه لا يسمح لنا بذلك.

لم أعلق على ما قاله.. بل التفت إلى (زياد) وسألته بالمقابل:

-ماذا عنك أنت؟!.. هل تكره عمّك أيضا؟!.

أجاب بالإيجاب مباشرة.. وكأن كراهية عمّه تستحق الفخر.. حسنا.. هذان اللعينان يمتلكان كل الأسباب لارتكاب الجريمة.. لماذا لا أرجح أن يكون القاتل من خارج البيت؟!.. هذا وارد بالطبع.. ولكن إحساسي الداخلي يقول أن القاتل أحد هذين الوغدين أو كليهما.. ولن أتركهما إلا إذا تأكدت أنني مخطئ.. أنا أثق بإحساسي الداخلي هذا.. أثق به كثيرا.

لكن.. هذا يقود إلى سؤال آخر بالغ الأهمية.. فلو أن أحد التوءمين ارتكب الجريمة.. لماذا لم يجعلها تبدو وكأن شخصا غريبا قام بها من أجل السرقة مثلا.. إذ كان بإمكان القاتل منهما ادعاء اختفاء مبلغ من المال.. إلا أنه لم يفعل ذلك.. وترك نفسه عرضة للاشتباه بكل سهولة.. خاصة مع عدم وجود ما يدل على أن القاتل شخصا من خارج البيت.

ما زلت أحدق في التوءمين وهما يحدقان بي في المقابل بنوع من التحدي.. لأتذكر أمرا آخر.. هناك شيء لا بد من التأكد منه، وإن كنت لا أعرف جدواه بعد.. إذ ناديت على الخادمتين والسائق.. وسألتهم إن كانوا يستطيعون التمييز بين التوءمين.. فأجابوا جميعا بالنفي.. والواقع أنني لم أشهد في حياتي أي توائم ترتدي الثياب نفسها.. إلا الأطفال.. أو ربما الفتيات.. لكن رجال في هذا العمر؟!.. المشكلة أنني لست واثقا حتى من أن الذي اكتشف الجريمة ثم وجدته في استقبالي كان (زيد) بالفعل.. وليس (زياد).. يا إلهي!.. الأمر مرهق ذهنيا ويكاد أن يصيبني بالجنون!!.

سألتهما محاولا الحفاظ على تركيزي، والبحث عن أي خيط يقودني إلى حل هذا اللغز:

-لماذا انتقلتما للإقامة مع عمّكما؟!.. كان بإمكانكما الإقامة في بيت والدكما بعد وفاته؟!.. هل بيته مهجور الآن؟!.

أجاب (زياد) ببرود:

-بعد أن توفي والدي رحمه الله.. اتضح أنه مدين لعمّي بمبلغ كبير من المال.. مما جعل عمّي يبيع البيت لتحصيل المبلغ.. وقد توسلنا إليه أنا وشقيقي ألا يفعل.. لكنه بدا صارما وهو يؤكد أنه لن يتنازل عن حقه مهما حدث.. ثم اقترح علينا أن نقيم عنده ونعمل في شركاته.

سألتهما مفكرا:

-هل كان والدكما فقيرا إلى هذا الحد؟!.

رد (زيد) هذه المرة بحدة:

- كان رجل أعمال ناجحاً أيضا.. لكنه تعرض إلى نكسة مادية بسبب صفقة تجارية لم تحقق النجاح.. فاضطر إلى الاقتراض من عمّي.. وللأسف فإنه توفي بعدها بفترة قصيرة بسبب بعض الأمراض وضغوطات العمل التي أثرت على صحته.

قلت وأنا أحدق في السقف:

-إذا كراهيتكما لعمّكما قديمة.. ولا تتعلق فقط بسوء تعامله معكما كما ذكرتما في البداية.. بل بسوء تعامله مع شقيقه (والدكما) نفسه.

قال (زيد) ضاحكا:

-أنت مخطئ في نقطة واحدة.. أنا لا أكره عمّي فحسب.. بل أحقد عليه كثيرا.. نعم.. فكلمة (كراهية) قليلة بحقه.. وصراخي لحظة اكتشافي موته كان بسبب وقع المفاجأة فحسب.. أعترف أنني أخفيت عنك أمر كراهيتي له حين سألتني في المرة الأولى.. لم أحب أن تعرف شأنا عائليا

كهذا.. لكن في النهاية.. أنت تحقق في جريمة قتل.. وعلى الأرجح ستعرف هذه التفاصيل عاجلا أم آجلا.

أغاظني أنهما يأخذان جهودي وجهود رجال الأمن بهذه الطريقة الهزلية.. لكني تركت الجدال جانبا.. إذ أضاء مصباح الأفكار في ذهني فجأة.. إنها لحظات الإلهام التي تزورني كثيرا أثناء التحقيق في قضايا غامضة كهذه.. لأقول بابتسامة مستفزة:

-لقد تذكرت للتو.. أعتقد أنني بدأت أفهم ما تفعلانه هنا.. فأنتما لستما أول توءمين يقومان بشيء كهذا.. لقد قرأت عن توائم متماثلة غيركما، ارتكب أحدهما جريمة.. لكنه أفلت منها بكل بساطة.. لأن القضاء عجز عن تحديد أي التوءمين ارتكبها.. أو إن كانا قد اتفقا على ذلك أصلا.. ولا يمكن أن يحكم أي قاضٍ في العالم بسجن توءمين أحدهما بريء.. فالقاعدة القضائية تتطلب العفو عنهما معا بدلَ أن يُسجن بريء ([2]).. لكنكما لن تخدعاني.

قال (زيد) ساخرا:

-حسنا.. إذا كنت مصرا على أن أحدنا ارتكب الجريمة.. فعليك أن تعرف هويته إذا.

سألت (زياد) متجاهلا تحدي شقيقه:

-أين كنت عند ارتكاب الجريمة؟!.

فرد باستهتار:

-كنت مع أحد الأصدقاء.

لم أسأله عن هوية صديقه هذا.. لا أظن أن ذلك سيفيد.. فتنهدت مستفرغا توتري.. وطلبت منهما أن يأتيا معي إلى غرفة النوم حيث القتيل ما زال هناك، كون رجال الأدلة الجنائية لم ينتهوا من عملهم بعد.. لماذا طلبت منهما ذلك؟!.. أنا نفسي لا أدري!.. ربما أردت أن أكون معهما في مسرح الجريمة (غرفة النوم).. علهما يرتكبان خطأ ما.. فصعد التوءمان الدرج أمامي وأنا خلفهما.. و.. عندها فقط لمحت شيئا.. شيئا لا أعرف جدواه أو أهميته.. لكني احتفظت به لنفسي وقررت عدم الإفصاح عنه حاليا!!.

حين دخلنا غرفة النوم.. كان رجال الأدلة الجنائية ما زالوا يعملون على أخذ البصمات.. مع التفتيش في كل شبر من الغرفة.. لأسأل أحدهم بصوت مرتفع:

-ماذا عن ربُـع البصمة التي عثرتم عليها؟!.. أين مكانها بالضبط؟!.

أشار إلى مقبض الباب الداخلي الذي نظرت إليه بشرود وعقلي ما زال مزحوما بالأفكار.. شيءٌ في أعماقي يخبرني أن لربُـع البصمة دورا مهما في الجريمة.. لا يمكن أن يمر وجودها مرور الكرام.. فلطالما كانت البصمات هي الفيصل في حل قضايا كثيرة منذ أكثر من قرن.. إنها تحفة طبيعية نتجاهلها بعد أن اعتدناها، وتم التطرق إليها في الكثير والكثير جدا من القضايا البوليسية.. إذ يتفرد كل إنسان ببصمة خاصة به لا يمكن أن تتكرر أبدا ([3]).. إلا أن الخارجين عن القانون تداركوا الأمر مع مرور الزمن.. وباتوا يرتدون القفازات كيلا يتركوا بصماتهم.. لكن أن يترك أحدهم جزءاً صغيراً من بصمته.. فهذا ما لم يحدث من قبل.. إلا إذا.. إلا إذا.. مهلا.. يا إلهي!.. تذكرت للتو ما رأيته منذ لحظات قليلة، واحتفظت به لنفسي.. هل لهذا دور في القضية؟!.

نظرت إلى التوءمين بلهفة.. لأوجه سؤالا مفاجئا ل(زيد) تحديدا:

-حين صعدنا درجات السلم للتو.. لاحظت أنك تعرج قليلا.. لماذا؟!.

قال بلا مبالاة:

-كنت ألعب الكرة مع مجموعة من الأصدقاء منذ بضعة أيام.. وقد أصبت بكدمة في ساقي.

طلبت منه أن يسير أمامي مرة أخرى.. هذا العرَج الخفيف هو الاختلاف الوحيد بين التوءمين حاليا.. ولولاه لما فرقت بينهما.. نعم.. كانت هذه ملاحظتي التي احتفظت بها لنفسي وحان الوقت لكشفها.. العرَج الخفيف!!.. هل يا ترى هو السبب؟!.. يجب أن أحاول.. قد يكون هو طرف الخيط الذي أبحث عنه.. بل قد يكون الدليل الوحيد الذي أمتلكه حاليا.. هذا مذهل!.. سأذوب فخرا بنفسي لو كنت على حق.. لكن الأمر يحتاج إلى العامل النفسي أيضا.. أتحدث هنا عن بعض التمثيل والتلاعب بالأعصاب.

لذا.. تنحنحت.. وأطلقت ضحكة ساخرة طويلة متعمدة أمام أنظار الجميع الذين يحدقون بي باستغراب.. ثم طلبت من أحد رجال الشرطة أن يقبض على (زيد) فورا.. ليمتثل لأمري وسط صدمة (زيد) الذي تجاوزها سريعا.. وراح يهدد ويتوعد ويؤكد أنني لا أملك شيئا ضده.. لكني وقفت أمامه مباشرة.. وابتسمت بسخرية لأقول:

-لقد كشفت أمرك يا (زيد).. أنت الذي قتلت عمّك.. أنت الذي أطلقت عليه النار.. إنني أملك الدليل.

نظر إلي غير مصدق، وكأنه لم يتوقع أن تسير الأحداث بهذه الطريقة.. وقد شجعني وقع المفاجأة على ملامحه وأكد لي أنني على الطريق الصحيح.. لأكمل بالسخرية ذاتها محاولا التأثير على معنوياته:

-لقد أطلقت النار على عمّك.. وبسبب ارتداد المسدس أثناء خروج الطلقة.. فقدت توازنك بفعل العرَج الذي تعانيه.. مما جعلك تتكئ على مقبض الباب بجزء من إحدى أصابعك، كيلا تقع على الأرض.. مخلفا جزءاً من بَصْمتك.. على الأرجح بصمة إبهامك؛ كونه الإصبع الأقوى عندنا جميعا بطبيعة الحال.. إن ارتداد المسدس أثناء إطلاق النار سيخل بتوازن أي شخص ليس معتادا على استخدامه.. فما بالك بمن يعاني إصابة في ساقه تجعله يعرج؟!.

كانت ردة فعل (زيد) تفوق كل توقعاتي.. فهو لم يماطل أو يدافع عن نفسه.. بل كان استنتاجي دقيقا إلى درجة أنه انهار تماما وبكل بساطة.. ليقع أرضا وهو يشتم عمّه بأقذر الشتائم، ويستذكر أفعاله السوداء على حد وصفه.. أما (زياد) فقد انكمش في مكانه شاعرا بالذعر بعد أن تم كشف أمر توءمه.. لكنه لم ينطق بكلمة.. ويبدو أن هذا لم يعجب (زيد) الذي سيضيع مستقبله.. في حين ينعم توءمه بثروة عمّه.. إذ أشار إلى شقيقه مدعيا أنهما شريكان في هذه الجريمة بالفعل.. وأن (زياد) هو من أخذ المسدس وخرج من البيت ليخفيه عند أحد أصدقائه.. فراحا يتشاجران أمامي وكل منهما يتهم الآخر بالغباء.. حقا إن الطمع يدمر كل العلاقات.. حتى علاقات التوائم ببعضهم!!.

لقد حاول (زياد) التنصل بالطبع.. بل وظل على إنكاره في بداية التحقيقات.. لكنه اعترف أخيرا بعد أن شعر بتضييق الخناق عليه.. خاصة مع حصولنا على كل تفاصيل الخطة حسب اعتراف (زيد).. مما أصابني بتلك النشوة التي أشعر بها دوما حين أنتصر لصالح العدالة في كل قضية أحقق فيها.. ليتم إغلاق ملف هذه الجريمة.. وإلى الأبد.

خدمة للمجتمع

مقدمة

هذه القصة جرت أحداثها مع أحد الأصدقاء.. وقد رواها لي ذات يوم بثقة ومن دون خوف.. لعلمه أن كل ما يقوله غير مسجّل في محضر رسمي، ولن يؤخذ به من الناحية القانونية.. وسينكر كل شيء لو شعر أنه سيقع في ورطة ما.

هذا ما أكده لي أثناء خروجي معه ذات ليلة وجلوسنا في أحد المطاعم لتناول العشاء.. فقد أخبرني بقصته من باب تأنيب الضمير الذي يصاحبه بين الحين والآخر.. وتمنى أن يسمع مني كلمات التأييد أو التخفيف على الأقل.

لكني لم أجد أفضل من الصمت.. خاصة مع الحزن الذي سيطر علي.. والذي قاطعته نظرات القلق في عينيه، كون ما قاله سيؤثر على احترامي له، ويقلل من قيمته في نظري.. وهو محق بالطبع.

المهم أنني فكرت لاحقا أن أخرج بفائدة على الأقل بعد جلوسي معه والاستماع إلى قصته.. وذلك من خلال نشرها لكم.. لذا سأنسحب من الأحداث.. وأسرد لكم القصة على لسان صديقي هذا، مع بعض التعديلات الدرامية.. آملا أن تنال إعجابكم.

لم أضع في عين الاعتبار للحظة.. أن هذا اليوم سيكون مختلفا.. فقد بدا من الأيام العادية التي أذهب فيها إلى عملي في تلك الجهة الحكومية.. حيث يسير كل شيء بهدوء وبأعمال شبه روتينية اعتدت القيام بها.. على أن أعود بعدها إلى البيت، ثم أقضي النصف الثاني من اليوم مع أصدقائي.. كحال أي شاب أعزب لا يحمل أي مسؤوليات على عاتقه.. وقد كنت حريصا -كعادتي-على إنهاء كل المهام المُسندة لي قبل نهاية ساعات العمل.. وهو ما أفعله دوما كيلا تتراكم المسؤوليات على كاهلي.

كان هذا قبل أن تطلب مني السيدة (سلوى) رئيسة القسم أن أحضر إلى مكتبها للضرورة.. فنهضت من مكتبي بخطوات هادئة.. متوقعا أنها ستوكل إلي بمهمة جديدة من مهام العمل.. لكني فوجئت بها تغلق الباب حال دخولي.. وهو ما لم تفعله من قبل.. لتسير بعدها بخطوات مضطربة إلى مقعدها وهي تطلب مني -بكلمات سريعة-الجلوس وألّا يعلو صوتي كونها ستتحدث حول أمر سري وبالغ الأهمية على حد قولها.

بالطبع شد كلامها انتباهي كثيرا.. فعلاقتي مع رئيستي وزملائي عموما لا تتجاوز حدود العمل.. ولا أذكر أننا تحدثنا في أمور أخرى إلا قليلا.. رغم أنني أعمل في هذه الوظيفة منذ حوالي عامين.. المهم أنني طرحت تلك التساؤلات جانبا، عالما أنني سأعرف الإجابة بعد لحظات.. فجلست مقابل مكتب السيدة (سلوى) وأنا أنظر إليها بفضول، منتظرا منها أن تتحدث.. لتختلس النظر إلى الباب.. ثم تقول بصوت هامس:

-بطبيعة الحال.. أنت لا تعرف الكثير عن حياتي الخاصة.. لذا دعني أخبرك أولا أنني متزوجة من رجل ثري للغاية.. وهو يمنحني كل ما أحتاجه من مال.. وأنا في الواقع لا أشغل هذه الوظيفة إلا لملء وقت الفراغ فقط.. فقد تجاوز أبنائي سن المراهقة وانتقلوا إلى المرحلة الجامعية.. أي أنني أعيش بلا مسؤوليات تقريبا.. لقد أخبرتك بذلك حتى تعرف أنني أمتلك المال.. ولن أكذب عليك

فيما سأقوله.

كان واضحا من كلامها أن الموضوع خارج نطاق العمل.. وأنها ستطلب مني خدمة ما مقابل المال.. لكن ما هي يا ترى؟!.. و:

-أريدك أن تضرب شخصا ما.. تضربه ضربا مبرحا!!.

كان هذا آخر ما توقعته!.. فنظرت إليها مستغربا من طلبها الصبياني.. لتكمل بحنق:

-إنه رجل أعمال كبير في السن.. تستطيع أن تضربه بسهولة، ولن تواجه منه أي مقاومة.. حتى مع بُنيتك متوسطة القوة.. ولو وافقت.. فستؤدي خدمة للمجتمع.. صدقني.. إنه شخص متعجرف حقير.. يعامل موظفيه بفوقية، ويخصم من رواتبهم لأسباب تافهة.. وهو رجل فاسد أيضا.. يدفع الرشاوى بين الحين والآخر كي يحصل على المناقصات الحكومية.

غير معقول!.. وكأنني أتحدث مع مراهق ضعيف يريد أن يستقوي بي أمام أحدهم.. لكني تمالكت نفسي سريعا.. وقلت بطريقة رسمية:

-المعذرة.. أنا هنا في مكان عمل.. وليست من مسؤولياتي تنفيذ طلباتك خارج هذا النطاق.. دعك من أن طلبك غير قانوني أصلا.

لكن يبدو أنها كانت مستعدة لرفضي.. إذ أخرجت من حقيبتها مظروفا كبيرا وضعته على مكتبها وهي تقول:

-هذه 30 ألف دينار.. سأمنحك 70 ألف دينار إضافية بعد أن تنفذ ما أطلبه منك.

بصراحة كان المبلغ ضخما بالفعل.. ولم أتوقعه أبدا.. حتى إنني تخاذلت كثيرا وأنا أقول:

-لكن لماذا أنا تحديدا من بين بقية الزملاء؟!.

ردت بحزم:

-لا يوجد سبب محدد.. ولو اخترت أحد زملائك لوجه إليّ السؤال نفسه.. عموما.. لقد اخترتك بطريقة عشوائية.. فأنا لا أريد أن أطلب هذا من أحد أقاربي مثلا.. هناك حدود رسمتها لكل من هم حولي من الأقارب والأصدقاء.. ولا أريد أن يتجاوزها أحد ويعرف شيئا عن حياتي الخاصة.. أما أنت فمجرد شخص غريب بالنسبة لي، ولا تتجاوز علاقتنا زمالة العمل.. ومن يعلم؟.. فربما تترك عملك هنا وتؤسس مشروعك الخاص حين تحصل مني على هذا المبلغ كاملا بعد أن تنفذ ما طلبته منك.

سكت طويلا وأنا أنظر إلى المظروف مفكرا.. لتقول هي محاولة بث الطمأنينة في قلبي:

-أريدك أن تفكر جيدا قبل أن ترفض.. سأمنحك حتى نهاية ساعات العمل لتقرر.. فأنا لن آتِي بهذا المظروف إلى العمل كل يوم.. وتأكد أن الأمر سيبقى سرا بيننا إلى الأبد.. ولو رفضت العرض.. سيستمر تعاملنا كما هو في نطاق العمل، وكأن شيئا لم يكن.

قلت بحيرة شديدة وقد أغراني المبلغ كثيرا:

- هناك مخاطرة كبيرة بطلبك هذا.. أولا.. أنا لست معتادا على القتال والمشاجرات.. ثم إنني أخشى أن يكشف أحدهم أمري.. إنك تتحدثين عن رجل أعمال لا شك أن له الكثير من النفوذ كحال كل رجال الأعمال.. ولو تمكن من معرفة هويتي.. فسيعني ذلك نهاية مستقبلي.. ثم ما

الهدف أصلا من كل هذا؟!.

قالت وهي تختلس النظر إلى الباب خوفا من أن يصل صوتنا إلى الخارج:

-ألم تشعر يوما برغبة قوية في ضرب أحدهم؟!.. في الحقيقة أنا أتمنى أن تقتله.. لكن قتله لن يكون بالأمر الهين بالنسبة لك.. وقد يوقعني أنا أيضا في المتاعب.. كما أن رجال الشرطة لن يتوقفوا حينها إلى أن يتوصلوا إلى القاتل.. أما الضرب المبرح فأقل وطأة بكثير من الناحية القانونية.. ولن نكون عرضة لتحقيقات الشرطة المكثفة كما هو الحال مع جريمة القتل.. دعك من أن الضرب سيفي بالغرض.. إذ سيبعد ذلك الوغد عن تجارته وعالمه لفترة طويلة جدا -وربما إلى الأبد- سيرتاح خلالها الناس من شروره.. إنني أريد أن أراه يدفع ثمن عجرفته مع الآخرين.. ناهيك عن صغار المستثمرين الذين خدعهم ودمر حياتهم.. أما من ناحية اكتشاف أمرك فأريدك أن تطمئن.. لأنني سأستأجر خبيرة مكياج كي تصنع لك مكياجا متقنا يغير ملامحك.. وسترى هذا بنفسك.. وكونك لست معتادا على المشاجرات كما تقول فهذه ليست مشكلة.. لأن ما سيحدث بينكما ليس شجارا بالمعنى المتعارف عليه.. بل أقرب إلى الاعتداء الجسدي.. ستكون أنت الطرف الأقوى.. وستتأكد من كلامي حالما ترى ذلك الوغد.. إنه قصير القامة نسبيا.. وهزيل للغاية.. أشبه بمقشة قديمة.

سألتها بقلق:

-وكيف سأستفرد به وأضربه من دون أن يتدخل أحد وينقذه؟!.

أجابت مطمئنة:

- مكتبه يقع في عمارة تجارية فاخرة يمتلكها بأكملها.. حيث يذهب إلى هناك يوميا منذ فترة المغرب تقريبا.. ولا يخرج إلا قبل منتصف الليل بقليل وبعد خروج جميع موظفيه.. إنه لا يملك سوى عمله الذي يعشقه عشقا مبرحا.. فهو منفصل عن زوجته.. وجميع أبنائه يعيشون حياتهم الخاصة ولا يزورونه كثيرا بسبب سوء أخلاقه وعجرفته.

غمغمت بتخاذل:

-وماذا عن حراس الأمن؟!.

أشارت إلي بإصبعها وهي تقول:

-نعم.. يوجد حارس أمن عند المدخل.. لكنه لن يسألك عن سبب دخولك.. فقد دفعت له مبلغا من المال حتى يغض النظر عنك.. ناهيك عن أن سيارة رجل الأعمال بعيدة عن مرمى بصر رجل الأمن.. أي أنك ستؤدي المهمة دون أي تدخل من أحد.. ولو أجرى رجال الشرطة أي تحقيق.. سيذكر رجل الأمن مواصفاتك التنكّرية بطبيعة الحال.. ولن يعرف حقيقتك أبدا.. إنها خطة مكتملة الأركان كما ترى.

سألتها للمرة الأخيرة:

-هل تسبب رجل الأعمال هذا بأي أضرار لك أو لعائلتك؟!.

قالت بأسى:

-أضرارا كثيرة.. لقد كان أشقائي من صغار المستثمرين الذين تعرضوا للخداع على يده.. كما خدع زوجي ذات مرة، وسلب منه إحدى الوكالات الهامة للأسف وبطريقة ملتوية اكتشفها زوجي متأخرا

بالصدفة.. المهم الآن.. أرجوك أن تتذكر.. إنني أعرض عليك مبلغا سيغير حياتك إلى الأبد.. كل ما عليك أن تغير ملامحك بواسطة خبيرة المكياج التي أخبرتك عنها.. ومن ثم تذهب إلى العمارة الفاخرة التي سأدلك على مكانها لاحقا.. ستنتظر رجل الأعمال في سرداب مواقف السيارات.. وحين تراه يخرج من المصعد متجها إلى سيارته.. ستنقض عليه وتضربه بكل قوتك.. أريدك ألا تتركه إلا حين ترى الدماء تنزف منه.. على أن تصور كل هذا كدليل على إنجازك للمهمة.. لستَ بحاجة لإرسال الصور لي لو كنت تخشى ذلك.. فقط دعني أراها من شاشة هاتفك.. وإن كان لا يوجد أي سبب لخوفك مني.. لأنني سأصبح متورطة معك.. فوجود مبلغ كهذا مع شاب مثلك لا يملك سوى وظيفته سيثير تساؤلات رجال الشرطة.. وسيضعني تحت الشبهات لو وشيت بي.. أي أنني من المستحيل أن أغدر بك.

سألتها بخفوت:

-ولماذا التنكّر المتقن حسب وصفك؟!.. لماذا لا أغطي ملامحي بقطعة قماش مثلا؟!.. هذا لو وافقت بالطبع.

ردت ببساطة:

-سيضع هذا رجل الأمن في موقف صعب، وقد يثير الشبهات حوله.. فمن غير المعقول أن يرى شخصا ملثما يدخل عبر بوابة مواقف السيارات من دون أن يوقفه.. أما دخولك متنكرا تحمل ملامح شخص آخر أهون بكثير دون شك.

جلست دقائق طويلة أفكر في كلامها.. فالمبلغ مغرٍ بالفعل.. وكل ما علي فعله أن أضرب رجل الأعمال ضربا مبرحا.. وسأفعل ذلك متنكرا.. أي أنه لن يتعرف ملامحي أبدا.. دعكم من أنه لا يعرفني أصلا.. كما أنني في هذه الحالة أقدم خدمة للمجتمع على حد قولها.. و.. وافقت أخيرا بعد أكثر من ساعة من التفكير.. نعم.. وافقت أمام عرضها المغري.. إنها 100 ألف دينار.. أي ما يعادل راتبي 10 سنوات ربما.. سأختصر سنوات طويلة بهذا المال.. هذه فرصة عمر وقد لا تتكرر.

أبلغتها بموافقتي.. لتتنفس الصعداء.. ثم راحت تخبرني بكل المعلومات اللازمة عن رجل الأعمال.. حتى إنني بحثت عن صوره فيما بعد في شبكة المعلومات.. ليتبين أنه رجل كبير في السن بالفعل كما أكدت لي السيدة (سلوى).. كبير إلى درجة أنني لو ضربته بكل قوتي فقد أتسبب بموته.. أي أن في الأمر مخاطرة.. عموما سأبذل جهدي كي أبقيه حيا.

بعد حوالي يومين -وفي فترة المساء حسب الاتفاق- خرجت من البيت متجها إلى شقة خبيرة المكياج بعد أن حصلت على العنوان كاملا من السيدة (سلوى).. لم يكن العثور على العمارة السكنية صعبا.. خاصة مع تحديد الموقع في خارطة الهاتف.. لأصل في الموعد المحدد.. حيث ظللت ألتفت بعض الوقت لأتأكد أنني لن ألفت انتباه أحد.. ثم ترجلت من سيارتي واضعاً نظارة كبيرة الحجم وقبعة تخفي وجهي إلى حد ما.. لأسير نحو العمارة السكنية متجها إلى البوابة الرئيسية.. ومن ثم إلى تلك الشقة في الطابق الثالث.

لم أنتظر طويلا حين طرقت الباب.. بل وجدت خبيرة المكياج بانتظاري مع السيدة (سلوى) التي كانت ترتدي ثيابا مريحة جعلتني أنظر إليها بشيء من الاستغراب؛ كوني اعتدت أن أراها بثياب رسمية في مقر العمل.. لتكسر هي حاجز الصمت سريعا، وتقوم بتقديمي إلى صديقتها خبيرة المكياج.. ثم تطلب مني أن أتبعهما إلى الغرفة حيث أدوات التنكّر.

جلست على ذلك الكرسي أمام المرآة.. وألقيت نظرة سريعة على عشرات الأدوات التنكّرية التي عرفت بعضها.. في حين بدا البعض الآخر غريبا.. ويبدو أنهما لاحظتا استغرابي.. لتقول خبيرة المكياج موضحة:

-إنني خبيرة في التنكّر أيضا.. ويتم الاستعانة بي في الوسط الفني كثيرا.. خاصة هؤلاء الذين يريدون تغيير هيئتهم بالكامل من أجل أدوارهم في أعمالهم الفنية.

لم أرد.. فقط ابتسمت بتوتر.. ثم أرجعت رأسي محاولا الاسترخاء.. ولأتركها تعبث بوجهي.. في حين راحت السيدة (سلوى) تنظر إلي مبتسمة، وهي تؤكد لي بين الحين والآخر أن الأمور ستسير على ما يرام.. وأنها تثق بصديقتها هذه التي قبضت مستحقاتها المالية نظير خدمتها كما علمت.

مرت أكثر من ساعتين أغلقت فيهما عيناي، بعد أن قررت ألا أنظر أبدا إلى المرآة لحين الانتهاء من المكياج.. ولم يكن يمنعني من الغرق في النوم سوى القلق من المهمة التي سأقوم بها بعد قليل.. ثم:

-لقد انتهينا.. ما رأيك؟!.

قالتها خبيرة الماكياج فجأة.. لأفتح عيني بسرعة وأنظر إلى انعكاسي في المرآة.. هل يعقل أن هذا أنا؟!.. يا إلهي!.. لقد أصبحت شخصا آخر.. ولو ذهبت بهذا التنكر إلى البيت لما عرفتني والدتي نفسها.. هذه السيدة خبيرة بكل ما تحمله الكلمة من معنى.. إنني أحمل ملامح رجل في أواخر الأربعينيات أو أوائل الخمسينيات ربما.. والشيب يغطي الجزء الأكبر من شعري.

ظللت أنظر إلى نفسي بإعجاب واستغراب شديدين لبراعة خبيرة المكياج.. لتقول السيدة (سلوى) بفخر:

-هل ستعرفك والدتك لو رأتك؟!.

قلت بذهول:

-لقد طرح ذهني السؤال نفسه للتو.. أنا.. أنا نفسي لا أعرفني!!.

ضحكت السيدتان من عبارتي.. ونظرت إلي السيدة (سلوى) نظرة ذات مغزى.. وكأنها تخبرني أنه يتوجب علي الخروج لتنفيذ مهمتي.. فرجل الأعمال في مكتبه الآن.. ويفترض أن يخرج قريبا كما هي عادته.. لكني تذكرت شيئا هاما.. فسألت بتوتر:

-ماذا سيحدث حين أنتهي من مهمتي؟!.. فأنا لا أستطيع أن أدخل البيت متنكّرا.

ردت خبيرة المكياج ضاحكة:

-المعذرة.. لقد نسينا إبلاغك.. تستطيع أن تعود إلى هنا بعد أن تنجز مهمتك، لكي أساعدك على إزالة كل أثر للمكياج.. لدي كل الأدوات اللازمة لذلك.. لن يستغرق الأمر وقتا طويلا.

ظل عقلي يبحث عن ثغرات قد تُفشل هذه المهمة قبل أن تبدأ.. لأسأل فجأة:

-ماذا لو خرج رجل الأعمال من مكتبه مبكرا على غير العادة؟!.. أو ظل في مكتبه لساعات طويلة ولم يخرج في موعده المعتاد؟!.

قالت السيدة (سلوى) ببساطة:

-هذا وارد.. ولو حدث.. سيتوجب عليك أن تعود إلى هنا لتزيل المكياج.. على أن تنفذ المهمة غدا

أو بعد غد.

حسمت أمري بعد كلامها.. ونهضت من مكاني.. لتردد السيدة (سلوى) -بشيء من القلق-تفاصيل الخطة على مسامعي مرة أخرى.. مؤكدة ضرورة أن أركن سيارتي بعيدا عن عمارة رجل الأعمال.. وأن أذهب سيرا على الأقدام إلى مواقف السيارات في سرداب العمارة.. كما أخبرتني أن السرداب يحوي كاميرات مراقبة كيلا أفاجأ بوجودها.. لكن علي ألا أخشى شيئا مع هذا التنكّر المُتقن.

خرجت إلى تلك العمارة التجارية في العاصمة.. ثم جلست أنتظر في سيارتي.. كنت أعبث بهاتفي قتلا للوقت.. ومشاعر التوتر والقلق تلتهمني، كوني لم أفعل شيئا كهذا في حياتي.. بل ولم أخض شجارا من قبل ومن أي نوع.. حتى بت أخشى أن أتصبب عرقا ويسيح المكياج.. مما جعلني أرفع درجة تكييف السيارة إلى أقصى حد.. فبت أرتجف بردا وتوترا في الوقت نفسه.. مع شعور غريب بالدوار سيطر علي، وجعلني أسند رأسي على مقعد السيارة لبعض الوقت.

مر الوقت أخيرا.. لأخرج من السيارة.. وأسير بضع دقائق متجها إلى العمارة التجارية من دون أن ألتفت.. إلى أن وصلت.. فنزلت إلى سرداب مواقف السيارات بعد مروري بحارس الأمن الذي بدا منشغلا بهاتفه ولم ينتبه إلى وجودي أصلا.. أو ربما هو ينفذ ما طلبته منه السيدة (سلوى) فحسب.. لا أعلم.. لأقف في زاوية السرداب الخالي تقريبا سوى من سيارات قليلة هنا وهناك.. منها سيارة رجل الأعمال الفارهة التي عرفت نوعها مسبقا من السيدة (سلوى) أيضا.

إنه موجود إذا.. وهذا يعني أن المهمة يجب أن تُنفّذ اليوم.. أمامي الآن دقائق أخرى من الانتظار.. أقول هذا لنفسي وأنا أكرر النظر إلى ساعتي والتوتر قد بلغ أعلى درجاته.. إلى أن رأيت أحدهم يخرج من المصعد الرئيسي.. إنه رجل الأعمال إياه.. أراه يسير متبخترا تجاه سيارته.. ألتفت بسرعة لأتأكد أن لا أحد يراني.. إن المكان بأكمله ليس في محيط بصر حارس الأمن الذي يجلس عند البوابة كما علمنا.. حسنا إذا.. الآن وإلا فلا.

ركضت تجاه رجل الأعمال بسرعة.. وأفرغت كل توتري وانفعالاتي بدفعة استخدمت فيها كلتا يدي.. ويبدو أن المفاجأة كانت أقوى منه بكثير.. إذ سقط أرضا.. ولم يتفوه بحرف.. بل سمعته يتأوه فقط.. فكان لا بد من طرق الحديد ساخنا.. لذا رحت أركله بكل قوتي وفي كل أنحاء جسده.. وأسدد اللكمات إلى رأسه واحدة تلو الأخرى.. وهو ينظر إلي ويحاول أن يتحدث.. لكني لم أمنحه الفرصة.. بل استمريت في ضربه إلى أن راح ينزف من فمه وأنفه وجبهته بغزارة.. و.. فقد وعيه.

حينها فقط.. التقطت له بعض الصور من هاتفي.. وهربت راكضا، وشيء غريب في أعماقي يتصاعد ويجعلني أتوتر أكثر وأكثر.. يبدو أنه لا يوجد سقفا للتوتر سوى توقف قلبك نفسه.. من المؤكد أن المكياج سيذوب بفعل العرق.. لكن لم يعد ذلك مهما الآن.. و.. لم أشعر بنفسي إلا وأنا عند سيارتي.. حيث رميت نفسي داخلها وأدرت محركها مبتعدا.

شعرت براحة بالغة بعد أن قمت بتأدية مهمتي على أكمل وجه.. مستذكرا كلام السيدة (سلوى) عندما أكدت لي أنني أقدم خدمة للمجتمع بفعلتي هذه.. بسبب مساوئ هذا الرجل الذي لم يسلم أحد من شروره على حد قولها.. خاصة وأنه بدا لي متعجرفا بالفعل من ملامحه ونظراته المتعالية على كل شيء حوله.. أو.. ربما كنت ألتمس العذر لنفسي فقط بسبب فعلتي الشنعاء.. لا أعلم.. لكني كسرت غروره وعجرفته هذه إلى الأبد.. هذا مؤكد.. لأبدأ بالغناء في سيارتي بسعادة شديدة، عالما أنني خرجت من هذه اللعبة منتصرا.. وبمبلغ سيغير حياتي بأكملها.. لا شك بأنني سأضع الكثير من الخطط لما يمكن أن أفعله بكل هذا المال.. إن أمامي أياماً جميلة دون شك..

أياماً رائعة.

ثم.. تتغير تلك المشاعر فجأة، ويبدأ الشك يسيطر علي ويجعلني أتساءل إن كان رجال الشرطة سيتوصلون إلي.. إنهم دائما يعثرون على شعرة أو خيط من ثيابك.. فيقودهم هذا في النهاية إلى كل معارفك وأقاربك، وفي أي يوم ذهبت فيه لتناول الطعام في الخارج!!.. لا أقولها من باب السخرية، ولكن قدرات رجال الشرطة مخيفة بالفعل.

ظلت مشاعر الخوف تسيطر علي طوال الأيام القليلة التالية.. رغم أن الأمور سارت بعد ذلك ببساطة.. إذ منحتني السيدة (سلوى) بقية المبلغ لتتم (الصفقة) بالكامل وبسرية مطلقة.. كما قرأت في مواقع التواصل الاجتماعي بعد يوم أو يومين خبر تعرّض رجل الأعمال هذا للاعتداء بالضرب من قبل مجهول.. وهو الآن في العناية المركزة.. إلا أنه سينجو على الأرجح.. وكان هذا مريحا للغاية.. فأنا لن أتسبب بموت الرجل.. أي أنني نفذت المطلوب مني وعاقبته وأبعدته عن عمله.. وأنني بت أشبه ب (روبن هود) ([4]) الذي يسرق من الأغنياء لمساعدة الفقراء.. مع بعض الاختلاف طبعا.. فالفارق الأهم هنا أنني لم أسرق شيئا.

لكن.. لم تنته الأمور عند هذا الحد.. فقد اتخذت القصة منحى آخر تماما لم يخطر ببالي على الإطلاق.. حين تغيبت السيدة (سلوى) عن العمل دون سبب واضح وقبل انقضاء أسبوع على الأحداث السابقة.. علما بأنها لم تغب يوما منذ استلامي لوظيفتي هذه.. وبالطبع فإن الوحيد الذي شعر بشيء من القلق تجاه ذلك كان أنا.. حتى إنني سألت زملائي في العمل عن سر غيابها.. ليخبرني أحدهم أن الأمر يتعلق بزوجها.. لكنه لا يعرف أي تفاصيل.

لم يكن ما أخبرني به كافيا.. لذا قررت الاتصال بها وسؤالها بنفسي.. نعم.. لن يثير هذا أي تساؤلات أو شكوك.. فمن الطبيعي أن يكون هناك تواصل هاتفي بين الموظف ورئيسته في العمل.. إلا أنها لم تجب على اتصالي.. ليشرد ذهني قليلا وأغرق في شاشة هاتفي حيث وسائل التواصل الاجتماعي كما نفعل بين الحين والآخر.. فتوقفت نظراتي بالصدفة على ذلك الخبر في إحدى الحسابات الإخبارية.. والذي يتحدث عن القبض على رجل أعمال بعد أن اعتدى بالضرب المبرح على رجل أعمال آخر!!.. لم أستوعب الخبر للوهلة الأولى.. لكن حين قرأت الأحرف الأولى من اسم المتهم.. انتبهت إلى أنه اسم زوج السيدة (سلوى).. نعم.. أنا أعرف اسمه.. سمعته منها ذات مرة.. و.. حينها فقط.. قفز إلى عقلي فجأة ذلك الاستنتاج المخيف.. هل يعقل أن يكون استنتاجي صحيحا؟!.

رحت أبحث بسرعة عن صورة لزوج السيدة (سلوى) في محركات البحث.. لأجد الكثير من الصور الواضحة له.. يا إلهي.. الآن بدأت أفهم.. لقد كنت أشبهه كثيرا بالمكياج الذي تنكّرت به في ذلك اليوم!!.. لا شك أن السيدة (سلوى) أرادت تغيير ملامحي -بواسطة صديقتها خبيرة المكياج- كي أشبه زوجها وأصبح نسخة منه.. حتى تلصق به تهمة ضرب رجل الأعمال هذا.. لقد اتضحت الأمور جيدا.. لا يمكن أن تكون هذه مجرد صدفة!!.

ظللت أحترق في مكاني طوال اليومين التاليين قبل أن تأتي السيدة (سلوى) أخيرا إلى مقر العمل.. حيث التم حولها الجميع وهم يقومون بمواساتها بعد أن انتشر الخبر.. فشكرَتهم بشيء من اللامبالاة.. لتذهب إلى مكتبها بعد أن ألقت علي تحية باردة.. أما أنا.. فلم أنتظر أكثر.. بل ذهبت إليها بخطوات سريعة، وأغلقت الباب خلفي لأقول بعصبية هامسة:

-لقد خدعتني وجعلتني أتنكر بملامح زوجك من دون أن أعرف.. لكي تُلصق به تهمة ضرب رجل

الأعمال.. أليس كذلك؟!.

لوحت بكفيها مهدئة وهي تقول:

-وما ضرك أنت؟!.. لقد قبضت أجرك كاملا.. وحتى لا تشعر بتأنيب الضمير.. دعني أقل لك أن زوجي قد تزوج علي من فتاة بعمر ابنته.. لن أحدثك عن غضبي واحتقاري لما فعله.. وتهديده لي بالطلاق وأنني لن أحصل منه على دينار واحد لو أثرت المشاكل.. فقد وجدت زوجته الجديدة تلعب في عقله وتسيطر عليه تماما.. إلى أن جعلته يمنحها مبالغ هائلة عن طيب خاطر.. مما أشعرني بالذعر على مستقبلي ومستقبل أولادي.. ففكرت طويلا بما يمكنني فعله.. لم تكن فكرة ارتكاب جريمة قتل متاحة.. فأنا لست بقاتلة.

قاطعتها ببرود ساخر:

-نعم.. أنتِ لست قاتلة.. بل نصابة فقط!!.

نظرت إلي بحدة وهي تشير بإصبعها ألا أتجاوز حدودي.. لتكمل:

-لو كنت نصابة.. فأنت شريكي في النصب.. لا تنس ذلك.. عموما.. كنت أقول أنني لم أجرؤ على القتل.. دعك من أن القتل سيدخلني متاهات كثيرة حتى لو أبعدت الشبهات عن نفسي.. لأن زوجته الثانية ستَرِثه أيضا في هذه الحالة.. ففكرت بهذا الحل.. أن أنتقم من زوجي لخيانته لي مع تلك الحقيرة.. وأن أنقذ ما يمكن إنقاذه من المال.. من خلال وضع زوجي في مأزق كبير لن يخرج منه أبدا.. ولم أجد مأزقا أفضل من أن يَضرب منافسه في التجارة، خاصة مع العداء الشديد الذي عُرف بينهما.. أتحدث عن رجل الأعمال الذي ضربته أنت.. حيث التصقت التهمة بزوجي بعد أن رصدتك كل كاميرات السرداب متنكرا بهيئته.

سألتها بذهول:

-وهل يعلم زوجك أنك سبب ما حدث له؟!.

قالت بخبث:

-لا شك في ذلك.. فقد ظل يقسم أنه كان معي في البيت لحظة تعرض رجل الأعمال للضرب.. لكن.. حين سألني رجال الشرطة.. أنكرت كلامه.. مما جعله يجن غضبا.. ويتأكد أنني تآمرت عليه بشكل أو بآخر.. لكن عليه إثبات ذلك.. وهذا المستحيل بعينه.. أما بالنسبة لك.. فأنت أيضا لن تتحدث أبدا بعد أن تورطت معي حتى النخاع.

سألتها مغمغما:

-والآن ماذا؟!.. ماذا سيحدث؟!.

ردت ببساطة:

-الآن أستطيع أن أدير أعمال زوجي في الشركة، كوني أحمل توكيلا منحه لي منذ زمن طويل قبل أن يتزوج من تلك اللعينة.

سألتها مستغربا:

-لماذا إذا لم تستخدِمي التوكيل بدلا من كل ما فعلتِه؟!.

قالت بسخرية:

-لأن التوكيل يسمح لي بإدارة أعماله فقط أثناء غيابه القسري.. وهو غائب في السجن الآن.

أغلقت فمها وهي على وشك أن تقهقه ضاحكة.. لكنها سيطرت على نفسها لتضيف:

-أستطيع الآن أن أدير أعماله، وأصحح المسار، وأضمن مستقبلي ومستقبل أولادي.. لدي ما يكفي من الوقت.. فلا أظن أنه سيخرج من قضية كهذه بسهولة.. خاصة وأن رجل الأعمال الذي ضربتَه قد استعاد وعيه مساء أمس.. وهو مصر تماما على تدمير حياة زوجي وسجنه لسنوات.

كان ما تقوله أكبر بكثير من كل ما توقعته.. هل يعقل أن يفكر أحدهم بهذه الطريقة العبقرية وبكل هذا الخبث؟!.. هل يعقل أن يتصرف أحدهم بهذا الذكاء المريض؟!.. لقد ضربت السيدة (سلوى) كل العصافير بحجر واحد.. فقد انتقمت من زوجها بعد أن تزوج عليها.. وحرمته من إدارة أمواله بنفسه بعد زجت به في السجن بجريمة ارتكبتها أنا متنكرا بهيئته.. مما سيسمح لها بأخذ ما تشاء من أرباح شركته في الفترة القادمة.. وأزاحت أيضا زوجته الجديدة من الصورة، كونها لم تنجب له بعد كما علمت.. في حين قبضت أنا ما استأجرتني من أجله.. ولم يعد بإمكاني فضحها بعد أن أصبحت شريكا في الجريمة.. لقد كنت مجرد دمية تحركني من خلالها السيدة (سلوى) حسب أهوائها.. مما أشعرني بالغباء.. وأنني أحمق.. أحمق كبير.

إلا أنني حاولت نسيان تلك الأيام من حياتي.. وقد قررت البقاء في العمل لسنة أو سنتين قبل الاستقالة.. لماذا؟!.. ربما كي لا أثير الشبهات.. أو لكي أستوعب ما حدث، ثم أبدأ بالتخطيط الفعلي لما سأفعله بهذا البلغ قبل أن أترك وظيفتي.. كما أن مخاوفي من أن يتم كشف أمري قد تلاشت تدريجيا مع مرور الوقت.. وبقي ذلك الشعور بالغباء وتأنيب الضمير بعد أن ظننت أنني أقدم خدمة للمجتمع فحسب، وأنصر المظلومين الذين عجزوا عن أخذ حقهم من هذا الرجل.

ومع مرور الأيام.. أردت أن أخرج هذا السر من جوفي.. فقد أثقل كاهلي.. مما جعلني أبوح بكل تفاصيل القصة لصديقي المقدم (سالِم فهد ال...).. عالما أنه لن يملك أي شيء ضدي.. فكل ما قلته له كان أثناء خروجنا معا.. ومن السهل أن أنكر كل شيء لو أراد تسجيل كلامي في محضر رسمي وتوجيه تهمة مباشرة لي.. أعلم أنني قد أخسر صداقته.. خاصة وأنه رجل مستقيم جدا.. لكني شعرت برغبة ملحة في التحدث.. ويكفيني أنه استمع إلي.

الكرسي

مقدمة

بعض القضايا معقدّة جدا.. تكون خلالها على ثقة بوجود شبهة جنائية.. وتكون متأكدا من الجاني بسبب خبرتك وبصيرتك في هذا المجال.. أو بسبب ثقتك الشديدة بالمصدر الذي نقل لك القصة.. لكنك -وفي نفس الوقت- لا تملك أي دليل يقبل به القانون للتحرك واتخاذ الإجراءات اللازمة.. وهنا تكمن مأساة العمل في السلك الأمني.. فالقضاء يعتمد دوما على الأدلة لإصدار أحكامه.. ولن يفيد أي شيء آخر.

ولعل قصتنا القادمة واحدة من القصص التي ينطبق عليها هذا الوصف.. فرغم أنني سمعت تفاصيلها على لسان أحد أصدقاء الجاني -وهو صديق لي أيضا بالمناسبة وأثق به كثيرا- إلا أنني لم أملك ما أستطيع فعله تجاه كلام مُرسل لا يؤيده أي دليل.

ربما سيظن البعض أنه من غير الأخلاقي أن يشي أحدهم بصديقه.. لكن الصديق المشترك هذا كان يعلم أن كلامه لن يغير شيئا، طالما ينقصه الدليل وينقصه اعتراف الجاني الرسمي.. وهذا ما جعلني أصرف النظر تماما عن الأمر.. وأكتفي بسرد القصة لكم.. على أن تكون -افتراضيا- بلسان الجاني؛ لأمنحها متعة درامية قد لا تتوفر لو سردتها على لساني.

أجلس في صالة شقتي التي استأجرتها منذ بضع سنوات خصيصا لممارسة هوايتي في صنع الأجهزة الإلكترونية.. في حين تجلس زوجتي بالقرب مني وهي تعبث بهاتفها.. ثم تتوقف عن ذلك فجأة.. لتتأفف وتسألني:

-إنك ترفض الإجابة على سؤالي، رغم أنني كررته كثيرا.. وها أنا أكرره للمرة العاشرة ربما.. لماذا طلبت مني المجيء معك إلى شقتك هذه؟!.. إنها متهالكة.. بل إن العمارة بأكملها متهالكة.. أنا لا أحب هذا المكان.. أريد الخروج من هنا والعودة إلى البيت.

نظرت إليها مبتسما دون رد.. لتكمل بحنق:

-لقد أخبرتك مرارا أنك تستطيع ممارسة هوايتك هذه في البيت.. بإمكاننا تجهيز غرفة لك كي تفعل فيها ما تشاء مع أجهزتك الإلكترونية.. إلا أنني في النهاية احترمت رغبتك بتأجير هذه الشقة.. كونك تريد الخروج تماما من أجواء البيت أثناء عملك على حد قولك.. لكن لا أجد حتى الآن سببا لإصرارك على أن آتي معك اليوم إلى هنا.

ظللت صامتا وأنا أنظر إلى الساعة في هاتفي.. لتستطرد هي في حدة:

-إلى متى ستظل صامتا هكذا وترفض الإجابة؟!.. هل أردت أن تأتي بي إلى شقتك لتثبت لي أنها تقع في عمارة سكنية محترمة وأنك لم تستأجرها من أجل العبث مثلا؟!.. لست بحاجة إلى ذلك.. فأنا أثق بك.. هل نستطيع الخروج الآن؟!.

قلت بحزم لم تعتده مني:

-انتظري قليلا يا عزيزتي.. وستعرفين السبب.. وتأكدي أنني لن آتي بك إلى هنا من دون سبب وجيه.. فأنت تدركين جيدا كم أقدس الوقت، خاصة وأن...

لم أكمل عبارتي.. إذ سمعت صوت جرس الباب.. مما جعلني أتحفز وأنهض لأفتح الباب مع نظرات زوجتي المتسائلة عن هوية الزائر.. لأجد أمامي الضيف الذي انتظرته والذي تأخر عن موعده.. ثم:

-لا أصدق أنك تلح علي بهذه الطريقة الغريبة لأزورك في شقتك.. لم أعهدك تتصرف هكذا.. إنك شديد الهدوء والرزانة عادة.. كما أنك لا تعلم حجم الأشغال التي أخذتني منها.. إنني رجل أعمال.. أعمل طوال الوقت.. ولا توجد لدي إجازات.. أو حتى...

سكت بحرج حين رأى زوجتي.. لأتجاهل كل كلامه.. وأقول لزوجتي بابتسامة:

-قريبي (أحمد).. ابن عمّي كي أكون أكثر دقة.

لم أكن بحاجة لتقديم (أحمد) إلى زوجتي.. فهي تعرفه جيدا بفعل صلة قرابتنا.. وبفعل لقائها به بين الحين والآخر في تجمعاتنا العائلية.. المهم أنه ألقى عليها تحية مرتبكة وقد خفت حدة كلامه.. ثم قال بخجل وهو يطرق برأسه أرضا:

-المعذرة.. لقد كنت غاضبا لمجيئي إلى هنا.. خاصة وأنني أرجأت أعمالا كثيرة بسبب ذلك.

تمتمت زوجتي بكلمات الترحيب، ثم راحت تنظر إلي بقلق.. ربما بدأت تفهم سبب وجودها هنا.. لكني لم أقل شيئا رغم ذلك.. بل طلبت منهما أن يتبعاني إلى الغرفة الوحيدة في شقتي الصغيرة هذه، والتي أضع فيها أجهزتي الإلكترونية كلها.. ليتبعاني إلى الغرفة بهدوء.. لكن ملامحهما حوت عشرات التساؤلات القلقة.. وما أن دخلنا.. حتى أقفلت الباب خلفهما ووضعت المفتاح في جيبي الذي أخرجت منه مسدسا.. ثم صوبته نحوهما بملامح باردة جامدة تدربت عليها كثيرا.. مما جعل زوجتي تصيح بذعر:

-ماذا؟!.. هل جننت؟!.. من أين جئت بهذا المسدس؟!.

لم أرد عليها.. فأردف (أحمد) بحدة:

-إن كانت هذه مزحة.. فهي مزحة سخيفة جدا.

طلبت منهما أن يخرسا.. وإلا سأطلق النار بلا تردد.. وأقسمت لهما أنني قادر على ذلك.. ليستكين كل منهما وينكمش واقفا في مكانه.. ليقول (أحمد) بذعر:

-ماذا تريد؟!.. إذا كنت بحاجة إلى المال فلا داعيَ لكل ما تفعله.. إنني لن أتأخر عن مساعدتك لو طلبت مني ذلك.

أشرت له بالمسدس أن يجلس على كرسي خشبي ثقيل جدا وضعته في منتصف الغرفة.. ليلوح بكفيه مهدئا ويسير مستسلما تجاه الكرسي.. ويجلس مقابلا لي.. ثم طلبت منه أن يضع يديه على ذراعي الكرسي كي أراهما جيدا.. فامتثل لأمري محاولا احتواء غضبي.

عندها فقط.. التفتُّ بسرعة ناحية صندوق صغير صنعته بنفسي يحتوي على أزرار تشغيل.. لأضغط على إحداها.. ويخرج مباشرة من ذراعي الكرسي شريطان جلديان قويان أحاطا بمعصمي (أحمد).. مع شريطين آخرين خرجا من ساقي الكرسي الأماميين وقيدا كاحليه.. ليصبح عاجزا تماما عن الحركة، وهو ينظر إلى ذراعيه وقدميه، وآثار المفاجأة واضحة على ملامحه وملامح زوجتي التي ظلت واقفة تحدق فيما يحدث بذهول.

و.. حين شعرت أنني سيطرت على كل شيء.. قلت ل(أحمد) بثقة:

-اسمعني جيدا.. أنا أعرف أنك تخونني مع زوجتي.

لم يجد الوقت ليرد.. إذ صاحت زوجتي فجأة:

-هل جننت؟!.. كيف تجرؤ وتتهمني بالخيانة؟!.

التفت إليها لأقول بصرامة:

-كل الدلائل تقول أنك على علاقة به.. إنك تتحدثين عنه دوما بإعجاب شديد.. وتصفينه بالرجل المثالي.. وتتمنين أن أصبح مثله يوما من الأيام، بدلا من وقتي الذي أقضيه في هذه الشقة من دون هدف على حد قولك.

قالت بلوعة:

-أنت مخطئ.. لقد كنت أمتدحه أمامك لتحفيزك على الاقتداء به ليس أكثر.. انظر إلى حالتنا المادية.. وانظر إلى حياة (أحمد).. وستعرف الفارق.

قلت مبتسما ببرود:

-لست مخطئا.. لقد رأيت مرارا نظراتكما لبعضكما أثناء التجمعات العائلية.. وانشغال كل منكما بهاتفه في نفس الوقت.. كنتما تراسلان بعضكما عبر وسائل التواصل الاجتماعي بكل وقاحة.. فأرى ابتسامة منك.. وابتسامة منه ظنا منكما أن لا أحد ينتبه.. لكنني كنت أراقب كل تحركاتكما.. بل إنني تتبعتك ذات يوم حين أخبرتني أنك ستخرجين لزيارة إحدى صديقاتك.. لقد كنتِ بكامل تأنقك مما أثار الشكوك في داخلي.. ولم تكن شكوكي خاطئة.. إذ اكتشفت بعد ذلك أنك كنت على موعد مع (أحمد).. حيث ركنت سيارتك في مواقف سيارات المستشفى (الأميري).. وركبت معه.

كان تأثير كلامي قويا عليهما.. فالجميع يرونني دوما شخصا ساذجا لا يملك أي مهارات اجتماعية.. أو (نيرد) ([5]) كما يقول الأمريكان.. لكنهما فوجئا أنني لست بهذه السذاجة.. ليقول (أحمد) بتوسل:

-أنت مخطئ.. صدقني.. لا توجد أي علاقة بيني وبين زوجتك.. والموقف الذي ذكرته حدث بالفعل.. لكن لأنها أرادت أن تشكوك إلي فحسب.. لقد أرادتك أن تتغير.. وأن تكون واقعيا، وتحاول أن تؤسس مشروعا يضمن مستقبلك.. فراتبك لا يكفي لسد التزامات الحياة، وأنت تعلم ذلك جيدا.. خاصة وأن الله قد يرزقكما بأطفال.. حينها ستندم على ضياع وقتك في هوايتك هذه التي تصرف كل أموالك من أجلها دون فائدة.

قلت ساخرا:

-تركب معك السيارة لتتحدثا عني؟!.

رد (أحمد) بانفعال:

-نعم.. نعم.. وقد كنا عموما في الشارع وسط آلاف السيارات.. لم نكن نرغب بالجلوس في مقهى مثلا، كيلا يرانا أحد من معارفنا.

قلت بحزم لأنهي هذا الإنكار:

-أنا أعرف بأمر علاقتكما.. فلا داعي للإنكار.. لقد قمت باختراق هاتف زوجتي ومراقبته.. وتمكنت

من قراءة الرسائل الصادرة منه والواردة إليه كلها.. أمر كهذا ليس عسيرا على شخص مثلي.. وقد قرأت رسائل الغرام النصية التي تتبادلانها.

كانت هذه المفاجأة التي خبأتها لهما.. نعم.. فكما علمتم من سياق الأحداث.. لم تتوقف زوجتي يوما عن ذِكر (أحمد)، ووصفه كنموذج للرجل المثالي الذي يمارس الرياضة حفاظا على بنيته الجسمانية.. ويمتلك طموحا كبيرا يجعله لا يضيع يوما واحدا من حياته دون فائدة.. وعن مشروعه التجاري الذي لاقى نجاحا سريعا.. ليفتتح مشروعا آخر وآخر ويقفز خلال سنوات قليلة إلى مصاف الأثرياء.. وفي كل مرة يحقق فيها النجاح.. كانت زوجتي تزداد انبهارا به، وتندب حظها لزواجها مني.. كوني لا أفعل شيئا سوى البقاء في شقتنا طوال الوقت لممارسة هوايتي وعشقي في صناعة الأجهزة الإلكترونية.. وهذا ما جعلني أستأجر هذه الشقة، حتى أمارس فيها هوايتي بعيدا عن تذمرها المستمر.. والواقع أنني لم أكن أضيع وقتي أبدا كما تقول هي عني.. لأنني أدرك جيدا نبوغي.. وهناك اختراعات كثيرة مذهلة يمتلئ بها ذهني قد ترى النور قريبا.. فأمور كهذه تحتاج إلى الصبر والمثابرة.. والنبوغ.. وأنا أملك كل هذا.

ويجب أن أعترف هنا أنني لم أمنح زوجتي يوما الاهتمام الذي تتمناه.. ربما بسبب طبيعتها المنطلقة التي تجعلها تحب السفر والخروج والاستمتاع بوقتها.. على عكسي أنا الذي أقدس العلم وأعشقه وأعشق وحدتي وعزلتي.

للأسف، فإن زواج الأقارب لا يراعي تلك الأمور التي يكتشفها المرء فيما بعد.. نعم.. فزوجتي هي ابنة خالي أيضا في واقع الأمر.. ونحن لم نكن لنتزوج لولا إصرار والدتي سامحها الله.. وإصرار خالي على ابنته كذلك.. لكن إهمالي لها ليس عذرا لخيانتها بالطبع.. إذ كان عليها أن تطلب الطلاق.. حينها كنت سأحترم رغبتها كثيرا.. أما أن تخونني.. فهذا ما لا أقبله أبدا.

-أرجوك أن تعقل وتتوقف عن هذا الجنون.

قالتها زوجتي بلوعة وتوسل وهي تقطع سيل أفكاري.. لأرد بعصبية:

- الجنون هو ما فعلته أنت مع هذا الوغد.. وستدفعان ثمنه.. فقد قمت للتو بتشغيل زر التفعيل.. وبعد نصف الساعة تقريبا.. ستنفجر قنبلة محدودة صغيرة وضعتها أسفل الكرسي.. لكنها ستمزق (أحمد) إربا.. أنظرا إلى العد التنازلي على شاشة الصندوق.. تبقت الآن 28 دقيقة.. كما تلاحظان أيضا أن هذه الغرفة مبطنة.. ولن يسمع أحد صراخ (أحمد) أبدا، أو حتى صوت الانفجار الذي سيودي بحياته.. أما أنتِ.. فالخيار الوحيد المتاح لديك أن تتركيه هنا وتخرجي معي.. هذا انتقامي من عشيقك الذي لم يحترم صلة القرابة.. أما انتقامي منك.. فسيكون بوجودك معي وأخذ أوامري وتنفيذها بلا نقاش طوال العمر.. وإلا سأنهي زواجنا بفضيحة.. لا تنسي أن جميع الرسائل الهاتفية بينكما موجودة في هاتفي.. أي أن مصيرك بأكمله في يدي الآن.. وحتى لو فكرتِ يوما بالتخلص مني.. فستصل تلك الرسائل إلى جميع أفراد العائلة.. تستطيعين أن تقولي أنني قمت بترتيب شيء كهذا حماية لنفسي.. لأنني لم أعد أثق بك.

رد أحمد بتوسل:

-أرجوك.. أرجوك.. إنك تحكم علي بالموت.. ألا تخشى أن يكشف أحدهم أمرك؟!.

قلت ببساطة:

- لا أخشى ذلك لأنني خططت للأمر جيدا.. سأقول أنك أتيت إلى هنا -أثناء غيابي- في زيارة

مفاجئة.. كونك قريبي وقد اعتدت مني أن أترك باب الشقة مفتوحا.. وأنك عبثت بحاجياتي أثناء انتظارك لمجيئي.. مما تسبب بخلل في توصيلات الكهرباء لينفجر بك الكرسي.. خاصة وأن القيود الجلدية هذه مصنوعة من مادة تذوب أثناء الانفجار ولن يعرف بوجودها أحد.. بل ولن يعرف أحد أنك جلست على قنبلة أصلا.. فقد صنعتها بطريقة احترافية تجعل الكرسي ينفجر وكأن مسًّا كهربائيا أصابه.. مما سيتسبب بحريق سيلتهم كل شيء في هذه الغرفة.. ولو اختارت زوجتي البقاء والاحتراق معك حتى الموت.. فسيسعدني هذا كثيرا.. ما يقلقني فقط حسرة عائلتنا التي ستصاحب موتك.. وربما يلومني بعضهم على هوايتي التي تسببت بتلك الكارثة.. لكن عدا ذلك.. إنها جريمة كاملة.. أو فلنقل انتقاما كاملا.. نعم أنا لست ثريا مثلك يا (أحمد).. لكنني أذكى منك بكثير.

لم يتمكنا من الرد.. إذ بدا كلامي محكما بعد أن خططت لكل شيء بدهاء.. سأتمكن من الانتقام من قريبي.. وستكون زوجتي تحت إمرتي، ومصيرها بأكمله في يدي لو اختارت الحياة وتخلت عن (أحمد).. وهو ما أرجّحه.. فهي لن تحبه إلى درجة أن تضحي بحياتها من أجله.. لست شريرا.. لكني أكره الخيانة.. خاصة وأنني لم أفكر يوما بخيانة زوجتي.. لقد كنت دوما أصونها وأحترم كيانها.

قال (أحمد) فجأة، وكأنه عثر على طوق النجاة:

-اسمعني جيدا.. إنني على استعداد أن أمنحك نصف مليون دينار.. إنه مبلغ ضخم يؤمن لك حياة كريمة، ويجعلك تترك عملك وتتفرغ لهوايتك هذه.. ماذا تقول؟!.

رفعت حاجبي انبهارا.. وقلت:

-هل.. هل ستوصي بجلب المبلغ إلى هنا الآن؟!.. كيف ستفعل ذلك؟!.

رد بأمل:

-سأتصل بأحد رجالي، وآمره بسحب المبلغ صباح الغد وجلبه إليك.. تستطيع إبقائي هنا إلى ذلك الحين.. عندها تستطيع أن تتركني أرحل.. ويمكنك أن تطلّق زوجتك فيما بعد.. أعلم أن الطلاق سيسبب مشاكل عائلية بسبب صلة القرابة.. لكنكما ستتجاوزانها مع مرور الوقت.. وبعد الطلاق بسنة أو أكثر.. سأتقدم للزواج منها.. لن يشك أحد بشيء.

بدا على وجهي عدم الاقتناع.. فقال بانفعال:

-سأقدم لك مليون دينار.. ماذا تقول؟!.. سنخرج جميعا من هنا ولن يعرف أحد ما جرى.. ولن تراني بعد اليوم.. أعدك.. سأغيب حتى عن تجمعاتنا العائلية.. إنني أشتري حياتي.. أرجوك.. فكر جيدا بما تفعله.

قلت بجمود:

-مليون دينار؟!.. هل أنت صادق؟!.

شعر ببريق من الأمل، ليهتف:

-نعم.. نعم.. أقسم لك.. اترك زوجتك ترحل الآن.. فهي لن تجرؤ على الإبلاغ عما تفعله لأنها تخشى الفضيحة.. أما أنا فسأبقى معك لحين توفير المبلغ في الغد.. أستطيع تزويدك الآن بما يوجد في خزينة الشركة.. حوالي 50 ألف دينار.. سأطلب من أحد رجالي أن يأتي بالمبلغ عربونا لصدق نواياي.

سكتّ مفكرا للحظات وأنا أنظر إلى عدّاد القنبلة.. لقد تبقت حوالي 17 دقيقة قبل الانفجار.. يجب أن أعترف هنا أنني لم أفكر أبدا في ابتزازه.. لكن الأمر قد يختلف الآن.. لذا حسمت أمري لأقول فجأة:

-حسنا إذا.. لا داعي لبقائك هنا.. فأنا أمتلك كل الأدلة التي تثبت خيانتكما من رسائل وصور في هاتفي.

صرخ بانتصار:

-عظيم.. اتركني أذهب.. وستحصل على المال غدا كما وعدتك.

قالها قبل أن ألمح تلك الحركة السريعة.. وللأسف لم أجد الوقت لأتجاوز لحظة المفاجأة.. إذ شعرت بضربة قوية في رأسي.. ضربة أفقدتني صوابي.. لألمح زوجتي وهي تمسك بيدها قطعة من الحديد موجودة بين أدوات الخردة.. يبدو أنها أخذتها أثناء حديثي مع (أحمد)، وتسللت تجاهي دون أن أنتبه.. ثم.. أراها بصورة ضبابية وهي ترمي القطعة أرضا لتذهب بعدها وتضغط على زر إغلاق مفعول القنبلة.. مما يعني أيضا أن قيود (أحمد) ستفتح.. لكني لم أشهد ما حدث بعد ذلك.. لأنني فقدت وعيي.

لم أكن لأستيقظ لولا الماء البارد الذي سكبه أحدهم على وجهي بطريقة مهينة جعلتني أشهق بقوة.. ليقول (أحمد) ساخرا وأنا أزفر الماء الذي دخل أنفي:

-حتى لو كنت ذكيا في صنع الأجهزة الإلكترونية.. فأنت شديد الغباء والجهل بقواعد الحياة.. لقد تبادلت نظرات كثيرة مع زوجتك أثناء حديثك وشعورك بالفخر لنجاح خطتك.. وأدركت أنها تنوي ضربك بشيء ما.. لهذا وجدتني أحاول مساومتك وجذب انتباهك الكامل.. وقد وقعت في الفخ.. الآن أنت تحت رحمتي.. لكني لن أرحمك.. فلا يوجد لديك ما تستطيع تقديمه لي.

قلت بذهول وقد استوعبت ما حدث:

-هل.. هل ستقتلني؟!.

رد ضاحكا:

-بالطبع.. سأقتلك بطريقتك، ولن يعرف أحد أي شيء.. أنت الآن مكبل على نفس الكرسي الذي كدت أن تقتلني به.. وستنفجر القنبلة بعد 7 دقائق تقريبا.. لم يكن من العسير أن أعيد تشغيلها.. شكرا لأنك جعلت الأمر شديد البساطة.

قالها وهو يشير إلى الصندوق.. فنظرت إليه تلقائيا.. لأجد العدّاد يعمل تنازليا بالفعل وموعد الانفجار يقترب شيئا فشيئا.. وقبل أن أرد.. أكمل (أحمد) بشماتة:

-الوداع أيها الأحمق.. لا أظن أن موتك سيثير شكوك أحد.. فرجل غريب الأطوار مثلك تمتلئ غرفته بتلك الأجهزة الغريبة.. مرجح جدا أن يقوده جنونه إلى قتل نفسه بالخطأ يوما ما.

احمر وجهي كما لم يحمر من قبل.. فأمسك (أحمد) بيد زوجتي كي يغيظني أكثر.. مما جعلني أنظر إليهما وأنا أكاد أبكي قهرا.. لتقول زوجتي بتوتر:

-أنت جلبت كل هذا لنفسك.. أنت لا تصلح زوجا لي.. إنك تعيش في وهم لن تستيقظ منه أبدا.. فأنت تعمل طوال الوقت، ولا أحد يرى نتيجة عملك هذا.. في حين تجد غيرك يعيش عالم الواقع، ويحقق نجاحا تلو الآخر.

قالتها وهي تشير إلى (أحمد) الذي سحبها من يدها إلى الخارج وهو يخبرني ساخرا:

-وداعا.. ولتذهب إلى الجحيم.. فحتى لو لم تنفجر القنبلة.. ستظل مسجونا هنا لتموت جوعا وعطشا، ولن يسمع أحد صراخك كما أكدت لنا بنفسك.

ثم أغلق الباب لأسمع صوت أقدامهما تبتعد.. ويعم السكون المكان بأكمله.. إنه محق.. لن يسمع أحد صراخي أبدا بسبب جدران الغرفة المبطنة.. لقد فعلت ذلك كي أعزل نفسي عن ضجيج العالم الخارجي.. دون أن أتصور للحظة أن الجدران المبطنة هذه ستعزلني حتى الموت!!.



خاتمة القصة

كانت زوجتي مع (أحمد) في سيارته.. من المرجح أنه يأخذها إلى البيت الآن.. فلا ننسى أنها جاءت معي إلى الشقة بسيارتي.. ومن المرجح أيضا أنه يضحك ساخرا وهو يحاول أن يرفع من معنوياتها، ويؤكد لها أنهما سيكونان بخير.. ولا أعرف ردة فعل زوجتي تجاه كلامه.. لكن أستطيع أن أؤكد أن جرس هاتفه رن فجأة.. وقد نظر إلى الشاشة.. ليجد رقما أرضيا غير مسجل في هاتفه.. مما أثار فضوله.. وجعله يجيب على الاتصال.. ثم يسمع صوتي قائلا بسخرية مماثلة:

-هل تعتقد أنك أذكى مني يا (أحمد)؟!.. إنك أحمق كبير.. لقد نجحت في فك قيودي.. وليست هذه المفاجأة الوحيدة.. فهناك مفاجأة أكبر.. توجد قنبلة أخرى في سيارتك التي تقودها.. وستنفجر بكما مباشرة لو فكرت بالتوقف.

لم يتوقع أبدا اتصالا كهذا.. فرد بصوت متحشرج:

-ك.. ك.. كيف تمكنك من فك قيدك؟!.

قلت ضاحكا:

-أنا صنعت هذا الكرسي.. فهل تعتقد أني أعجز عن إنقاذ نفسي منه؟!.. الكرسي يحتوي على كلمة سر صوتية لفتح القيود بأكملها.. وها قد فعلت وأنقذت نفسي.. ثم اتصلت بك من هاتف الشقة الأرضي بعد أن أخذت مني هاتفي.. يبدو أنك نسيت كل ما يتعلق بالخطوط الأرضية.. وهذا طبيعي.. فالجميع في زمننا هذا باتوا يستخدمون هواتفهم النقالة.. المهم أن تتذكر جيدا ما قلته لك للتو.. لو فكرت بالتوقف فستنفجر السيارة حال توقفها.. ولو استمريت في قيادتها.. ستنفجر أيضا بعد حوالي.. ممم.. أقل من ربع الساعة.

بدا واضحا أنه يعيش صدمة حياته.. مما جعلني أكمل بسخرية:

-الجميل أن القنبلة لن تنفجر بالمعنى الحرفي.. بل ستحترق إن صح التعبير، وستحرق سيارتك بأكملها لتبدو للجميع وكأنها تعرضت لعطل ما.. سيفتش رجال الأمن عن سبب الاحتراق، لكنهم لن يعثروا عليه أبدا.. تماما كحال القنبلة التي صنعتها في الكرسي.. إنها عبقريتي التي لا يصدق بوجودها أحد منكم.. بالمناسبة.. أنا أشعر بالفخر لأنني أجدت التمثيل أيضا.. وجعلتك تصدق نظرات الخوف وأنني وقعت في الفخ.. إنني متعدد المواهب كما ترى.

قال برعب وسط صراخ زوجتي التي تسأله بهلع عما يحدث:

-أيها اللعين.. أي شيطان أنت؟!.

أجبت بصرامة:

- حتى تكسب معركتك مع الشيطان.. فيجب أن تكون شيطانا أيضا.. لقد زرعت قنبلتي في سيارتك مساء أمس.. كخطوة احترازية فيما لو تمكنت من الإفلات من الكرسي.. إنني لم أدع أي مجال للخطأ.. ربما لأنني أخطط لهذا الانتقام منذ أيام طويلة.. وها قد تحقق.. وداعا أيها الوغدان.. فما أردته فقط هو رد اعتباري وكرامتي.. والإثبات لزوجتي الخائنة أنني لست غبيا أو فاشلا.. وداعا.

قلتها وأقفلت الخط بوجهه.. ولم أكن مخطئا بتوقعاتي.. إذ وصلني خبر احتراق السيارة بالكامل فيما بعد.. من دون أن يتوقع أحد أنني خططت لكل هذا.. بل وعلى العكس.. كنت أبدو للجميع بمظهر الزوج المسكين المغلوب على أمره.. خاصة مع التساؤلات التي لم تتوقف عن سبب وجود زوجتي مع (أحمد) في سيارته.. ومحاولة الجميع طرد فكرة الخيانة، والاكتفاء بالتماس العذر لهما بوجود شيء حتمي لا نعرف كنهه تطلّب أن يكونا معا يومها.. إلا أن موتهما جعل السر يموت إلى الأبد.. وحدي أنا كنت أعرف السر.. وحدي أنا أعلم تفاصيل موتهما؛ لأنني رسمتها بكل دقة.

أين سلاح جريمة؟!

لم يطرأ في ذهني أبدا أنني سأواجه جريمة غريبة ومعقدة كهذه.. فقد ظننتها في البداية مجرد واحدة من تلك القضايا الواضحة، حين وصلني خبر مقتل رجل الأعمال السيد (ف) في مقر شركته وفي مكتبه تحديدا.. متوقعا ألا يتجاوز الأمر خلافا عائليا أو مشاكل متعلقة بشريك ما.. أو حتى منافساً تجارياً.. فالأسباب والدوافع كثيرة لجرائم قتل كهذه.. وكلها معروفة ومكررة لمن يعمل في القطاع الأمني.

بدأت القصة باتصال هاتفي من سيدة عربية الجنسية تتحدث بصوت مذعور.. وهي تخبرنا أنها سكرتيرة رجل الأعمال السيد (ف).. وقد لقي مصرعه قبل قليل بعد أن تعرض لإطلاق نار أثناء وجوده في مكتبه.. فالتقطْت الاتصال، وحاولت تهدئتها وأنا أؤكد لها أننا قادمون في الطريق فورا.. كما سألتها بسرعة إن كانت تعرف هوية القاتل، أو ربما الوجهة التي هرب إليها.. لتخبرني بصوتها المتوتر أن القاتل ما زال موجودا ولم يحاول الهرب أصلا!!.. بل في المقابل خرج من الغرفة وملامحه تمتلئ استغرابا، وهو يؤكد أن السيد (ف) سقط على مكتبه فجأة والدماء تسيل من رأسه مع لحظة إطلاق النار من مصدر مجهول!!. وقد أصر القاتل -إن كان هو القاتل فعلا- على البقاء مع السكرتيرة في مكتبها مؤكدا أن ليس لديه ما يخشاه؛ لأنه لم يفعل شيئا على حد قوله.. خاصة وأنه أفرغ كل جيوبه أمامها كي يؤكد أن ليس بحوزته أي مسدس.. هل.. هل يعقل أنه أخفى المسدس في مكان ما في الغرفة بعد ارتكابه للجريمة؟!.. لا.. لا أظن القضية بهذه البساطة.. لذا ظللت أفكر في هذا الكلام وأضع الاحتمالات تلو الأخرى أمام هذه المعلومات الغريبة.. إلى أن وصلت إلى مقر الشركة حيث مسرح الجريمة.

كانت السكرتيرة شديدة الأناقة والجمال، رغم أنها بدت في أسوأ حال ممكن وهي تؤكد باكية أنها تعمل عند السيد (ف) منذ عدة سنوات.. وأنها تحترمه كثيرا كونه شخصا دمث الخلق، لم يسئ معاملتها يوما.. أما القاتل -أو المشتبه به- فقد كان مرتديا بذلة رسمية كحلية اللون.. ويجلس على الكرسي المقابل لمكتب السكرتيرة مع ملامحه الجامدة المصدومة التي لم أعرف كيف أفسرها؟!.

كان أول ما فعلته أنني طلبت من أحد رجال الشرطة الإبقاء على السكرتيرة والمشتبه به وعدم السماح لهما -أو لأي موظف في الشركة- بالمغادرة مع ضرورة أخذ الهويات الشخصية للجميع والتحقق من سجلهم الجنائي.. على أن أدخل غرفة المكتب حيث جثة القتيل لأستطلع المكان.

كانت الغرفة شديد الفخامة مع ذلك الأثاث الخشبي الفاخر.. وشاشة التلفاز الكبيرة التي تحتل منتصف أحد الجدران وفي مرمى بصر أي مقعد تختاره.. كما توجد طاولة اجتماعات جانبية أنيقة تكفي 4 أشخاص، وبضع كراسٍ في أماكن متفرقة.. لكني تجاهلت كل هذا.. واتجهت بنظري إلى المكتب مباشرة، حيث السيد (ف) على كرسيه قتيلا مُلقيا رأسه على مجموعة من الأوراق التي تلوثت بالدماء.. وهو المنظر المعتاد لأي جريمة قتل يتعرض لها أحدهم وهو يجلس على مكتب

ما.

اقتربت من الجثة بطريقة آلية كوني اعتدت مناظر كهذه.. ورحت أنظر إلى الدماء التي تسيل من رأس السيد (ف).. لا أحتاج خبرة جنائية كبيرة لملاحظة أن الرصاصة جاءت من الخلف.. هل أطلق أحدهم النار من الخارج؟!.. ربما عبرَت الرصاصة تلك النافذة التي تقع خلف كرسي الضحية.. ثم قام المشتبه به بإغلاقها كي تكون الجريمة غامضة بهذه الصورة.

ألغيت هذا الاحتمال حين اتجهت ناحية النافذة، وتذكرت أن غرفة المكتب في طابق مرتفع وتطل على البحر.. هذان العاملان تحديدا ينفيان أن يكون مصدر الرصاصة من الخارج.. لكن هذا يعني أيضا أن الرصاصة تم إطلاقها من داخل غرفة المكتب.. هل هو ذلك المشتبه به بالفعل كونه الوحيد الذي كان موجوداً وقتها؟!.. هذا سيعود بنا إلى المشكلة الرئيسية.. ماذا عن سلاح الجريمة؟!.. المسدس؟!.. أين هو؟!.. فالعثور عليه قد ينهي القضية على الأرجح ويثبت التهمة على المشتبه به.. أو يساعدنا على معرفة الجاني الحقيقي.. وإن كنت أرى استحالة وجود أي جانٍ آخر غير المشتبه به هذا.. عموما.. لن أستعجل الأمور.

أخذت نفسا عميقا.. ثم طلبت من رجال الأدلة الجنائية تفتيش غرفة المكتب جيدا لعلهم يعثرون على سلاح الجريمة.. كما قام أحد رجال الشرطة بتفتيش المشتبه به.. إلا أنه لم يعثر على شيء يذكر.. لأتجه إلى غرفة السكرتيرة.. حيث أخذتها جانبا.. وسألتها بهدوء:

-أخبريني ما الذي حدث بالضبط؟.. مع عدم إهمال أي تفاصيل.

قالت وقد بدأت تستعيد رباطة جأشها:

-لقد جاء هذا الضيف ليزور السيد (ف)، مدعيا أنه يرغب في التحدث إليه في موضوع هام.. وقد رفض إبلاغي بما يريد.. بل أصر على أن يقول كلامه للسيد (ف) فقط، والذي شعر بالفضول لهذا الإصرار.. وحين دخل.. لم يمض وقت طويل.. مجرد دقائق قليلة.. قبل أن أسمع صوت طلق ناري.. ليخرج الضيف مذعورا من الغرفة وهو يخبرني أن السيد (ف) تعرض للقتل بطريقة غامضة.. لكني لم أصدقه بالطبع.. فمن القاتل إن لم يكن هو؟!.

سألتها باهتمام:

-وكم استغرق الوقت بين سماعك لصوت الطلق الناري وخروج الضيف من مكتب السيد (ف)؟!.

ردت وهي تنظر إلى الفراغ مفكرة:

-لا أذكر.. ربما هي لحظات قليلة.. لأن صدمة ما حدث كانت قوية جدا، وجعلتني لا أنتبه أبدا إلى الوقت.

سألتها إن لاحظت وجود أي بروز في بذلة الضيف قد يشير إلى حمله شيئا كبير الحجم.. كسلاح الجريمة مثلا.. لكنها هزت رأسها نفيا، مدعية أنها لم تنتبه إلى أي شيء غير عادي.. لذا اكتفيت بما قالته.. وطلبت منها الجلوس في مكتبها.. في حين قمت باستدعاء الضيف أو المشتبه به -وقد عرفت من إثباته الشخصي أنه من جنسية عربية أيضا واسمه (جابر)-ثم سألته عما حدث.. ليقول كلاما شبيها بما قالته السكرتيرة.. فسألته عن سبب مجيئه إلى هنا.. ليرد بهدوء شديد:

-إنني أعمل محاسبا في إحدى الشركات.. لكن تم إبلاغي مع مجموعة من الموظفين أن الشركة بصدد التخلي عنا، وتقليص مصاريفها بسبب بعض الظروف المالية.. وأن علينا البحث عن

وظائف أخرى خلال الشهور القادمة.. فأتيت إلى هنا.. إلى مكتب الشركة المنافسة.. عند السيد (ف) كونه يعرفني إلى حد ما.. لعله يقبل بمنحي وظيفة في شركته.

سألته بغموض:

-وهل وافق؟!.

مط شفتيه ليقول بأسف:

-لم أجد الوقت لذلك.. فقد تحدثنا حول بعض الأمور العامة لدقائق قليلة.. قبل أن يصاب بذلك الطلق الناري مجهول المصدر.

سألته وأنا أنظر إلى عينيه مباشرة:

-ماذا حدث بعد ذلك؟!.

قال مستذكرا:

-لقد تطلب الأمر بعض الوقت كي أستوعب ما حدث.. فما رأيته مستحيل بكل المقاييس.. إذ سمعت صوت الرصاصة.. ورأيت رأس السيد (ف) ينزف دما فجأة.. وفي اللحظة نفسها وقع بكل ثقله على مكتبه.. لأتراجع إلى الوراء بذهول، وأبقى مصدوما بعض الوقت.. ثم التفت حولي بذعر باحثا عن مصدر الرصاصة.. لكني لم أجد شيئا سوى السكون الذي خيم على المكان كله.. إلى أن خرجت من الغرفة من دون أن أشعر.. فوجدت السكرتيرة تسألني بذعر عما جرى، بعد أن سمِعت بدورها صوت الطلق الناري.. عندها انتبهْت إلى أن أحدا لن يصدقني أبدا.. لذا ارتأيت البقاء والجلوس بانتظار الشرطة حتى أبعد الشبهات عن نفسي.. فليس لدي ما أخفيه مهما كانت غرابة الحادثة.

سألته مستغربا:

-ألم تدخل السكرتيرة لتفهم ما يحدث؟!.

رد وهو يمط شفتيه:

-ربما الخوف منعها.. إذ وجدتها منكمشة في مكتبها وهي ترتجف بوضوح بعد سماعها لصوت الطلق الناري.

التفت إلى السكرتيرة الجالسة في مكتبها كما طلبت منها.. ووجدتها تنظر إلي بألم وكأنها تستذكر تلك الأحداث.. فتجاوزت كلامه وقلت مباشرة:

-إذا أنت كنت وحدك مع السيد (ف).. وأنت وحدك من رآه يخر صريعا.. هذا يجعلك المشتبه به الأول يا (جابر).. فانتظارك للشرطة لن يزيل اسمك من قائمة المشتبه بهم.. وسأتمكن من اعتقالك حالما نعثر على المسدس الذي يبدو أنك خبأته في مكان ما في غرفة المكتب بعد قتلك للسيد (ف).. قبل أن تخرج وتخبرنا بتلك القصة الغريبة التي لا يصدقها عقل.

لم أنتظر ردة فعله تجاه كلامي.. بل تركته ودخلت غرفة المكتب حيث جثة السيد (ف) لأسأل رجال الأدلة الجنائية إن كانوا قد عثروا على سلاح الجريمة.. أو أي شيء مثير للانتباه.. لكني رأيت الحيرة واضحة على وجوههم.. كيف من الممكن أن يصاب أحدهم بطلق ناري في غرفة مغلقة ولا نجد أي أثر للمسدس؟!.. لا يمكن أن يكون (جابر) قد رمى المسدس من النافذة.. لأن رجالي لم

يعثروا على شيء في الأسفل.. وكذلك رجال الأمن في الدور الأرضي أكدوا أنهم لم يلاحظوا أي شيء غير عادي.

ثم.. تذكرت أمرا بالغ الأهمية.. فخرجت بسرعة إلى السكرتيرة.. لأنظر في أنحاء غرفتها كلها.. وأجد كاميرا مراقبة تكشف المكان.. قد يقودنا هذا إلى شيء.. سألتها بلهفة إن كانت هناك كاميرات مراقبة غيرها.. لتخبرني أنها موجودة في كل غرف الشركة.. سوى غرفة السيد (ف).. هذا مُتوقع ومنطقي بالنسبة لصاحب الشركة.

ظللت صامتا مفكرا.. واضح أن القاتل استخدم طريقة بالغة الذكاء.. لكن من هو القاتل؟!.. المنطق يقول أنه (جابر).. فهو الوحيد الذي تواجد مع السيد (ف) أثناء تعرضه للقتل كما علمنا.. لكن أين سلاح الجريمة؟!.. أين المسدس؟!.. لو عثرت عليه فستصبح لدينا جريمة مكتملة التفاصيل.. إذ سنستخرج الرصاصة ونطابقها مع المسدس للتأكد أنه هو السلاح المستخدم في الجريمة ([6]).

ذهبت بعد ذلك إلى غرفة الأمن الخاصة بالشركة.. وطلبت من حارس الأمن إعادة البث للساعتين الماضيتين.. فامتثل لأمري سريعا.. ورحت أشاهد معه مدخل الشركة عند مجيء (جابر).. ليسير عبر الممرات إلى أن دخل غرفة السكرتيرة.. حيث تحدث إليها قليلا.. قبل أن أراها ترفع السماعة لتخبر السيد (ف) بوجود ضيف يرغب بالدخول.. ومن ثم يدخل (جابر) بالفعل ويختفي من الكاميرا.. بعد ذلك بأقل من 5 دقائق تقريبا.. أرى السكرتيرة تقفز من مكانها مع صوت إطلاق النار.. وتقف مرتبكة عاجزة عن التصرف.. ثم يخرج (جابر) بعدها بأكثر من دقيقتين، ليخبرها بما حدث وهو يبدو مصدوما بدوره.. حيث بقي الاثنان في غرفة السكرتيرة ولم يغادرانها منذ ذلك الحين.

حسنا.. هناك وقت بالفعل -وإن كان قصيرا- بين صوت الطلق الناري وخروج (جابر) من غرفة المكتب.. أي أنه كان يملك الوقت ليطلق النار على السيد (ف) ويخفي المسدس.

عدت إلى غرفة السكرتيرة حيث يجلس (جابر).. لأؤكد ما قلته له وبطريقة استفزازية:

-الجريمة تبدو مستحيلة.. لكني على ثقة أنك أنت الفاعل.

رد بثقة:

-إذا لماذا لا تقبض علي؟!.

قلت بحدة:

-لأننا لم نعثر على سلاح الجريمة بعد.. إذ قام رجالي بتفتيشك حال وصولهم.. بل وقاموا بتفتيش غرفة السيد (ف) وغرفة السكرتيرة كذلك.. لكنهم لم يعثروا على شيء.. ولا يمكن القبض عليك إلا حين نعثر على سلاح الجريمة.

رد متحديا:

-إذا ثقتك هذه لن تقودك إلى شيء.. فأنا بريء إلى أن تثبت إدانتي.

سكت وفي داخلي انفجر بركان من الغضب.. إنني أمام قضية غريبة!.. هذا الرجل هو الجاني والشاهِد في الوقت نفسه.. وما زاد الأمر غرابة وغموضا أن رجالي أكدوا لي أنهم قاموا بفحص إثباتات جميع موظفي الشركة بالإضافة إلى إثبات (جابر).. ولم يجدوا سجلا جنائيا واحدا لأي

منهم.

طلبت من (جابر) بعد ذلك أن يأتي معي.. حيث جلست معه في إحدى الغرف الخالية، ورحت أطرح عليه أسئلة كثيرة عن حياته ووضعه المالي، منتظرا منه أي زلة لسان قد تنير لي الطريق.. و:

-ماذا ستفعل الآن بعد موت السيد (ف)، وقد تعقدت فرصة حصولك على وظيفة في شركته؟!.

مط شفتيه وقال:

-لا أعلم.. ربما سأتحدث فيما بعد مع الورثة.. أو أحاول مع رب العمل الحالي كي يستثنيني من تقليص الميزانية، ويسمح لي بالعمل في شركته.. كل الخيارات متاحة.

سألته مغمغما:

-منذ متى تعيش في (الكويت)؟!.. وماذا كنت تعمل في بلدك؟!.

أجاب مفكرا:

- منذ حوالي 7 سنوات.. كنت أعمل محاسباً أيضا في بلدي.. لكن براتب أقل بكثير مما أحصل عليه هنا.

أعرف إجاباته كلها قبل أن يقولها.. فكلامه لا يناقض ما عرفته عنه.. فسكتُّ طويلا، وظللت أحدق به بغموض.. حتى إنه سألني فجأة:

-لماذا تحدق بي بهذه الطريقة الغريبة؟!.

قلت بسخرية:

- لأنني أعلم أنك أخفيت سلاح الجريمة بطريقة ذكية للغاية.. وهو دليل إدانتك الوحيد.. فإذا أردت أن تضيع الجريمة.. عليك أن تضيع الدليل على وجودها.. وهو من تناقضات عمل رجل الأمن، كوني أعرف أن هناك جريمة قتل.. وأن هناك قاتل.. لكن لا أعرف كيف ارتكب جريمته.

رد بسخرية مماثلة أثارت غضبي:

-هل جئنا إلى هذه الغرفة لتستفرد بي وتكرر هذا الكلام على مسامعي؟!.. عموما.. طالما لا تملك دليلا ضدي.. فأنا بريء ويمكنني الخروج الآن.. إلا لو كان لديك سؤال آخر لتطرحه.

قلت بقسوة:

-لا تستهتر بالأمر كثيرا ولا يصيبك الغرور.. فأنا أمتلك الحق بحجزك 21 يوما على ذمة التحقيق.

ضحك ساخرا وهو يقول:

-أنا أعرف جيدا أنني بريء.. وأعرف أنك تضيع وقتك معي.. عليك أن تتركني أذهب لتؤدي عملك، وتبحث عن القاتل الحقيقي.

سألته بهدوء مفاجئ:

-من الغريب أن أجدك ساخرا متحديا بهذه الطريقة، رغم أنك شهدت جريمة قتل لشخص تعرفه، وكنت تتمنى أن يقوم بتوظيفك في شركته.. ناهيك عن أنك -منطقيا- المشتبه به الأول حتى لو ادعيت براءتك.

رد بحزم:

-لم أكن لأتصرف بهذه الطريقة لولا طريقتك الاستفزازية.

لم أعقب على كلامه.. لكن من الواضح أن طريقتي نجحت.. فمن العسير على شخص يشهد جريمة قتل للمرة الأولى في حياته أن يستجيب لهذا الاستفزاز.. إلا إذا كان هو الفاعل.. أعرف أن ما أقوله ليس دليلا كافيا.. لكني أتصرف بمنطقية هنا.. ولو استبعدنا المستحيل.. ستبدو الحقائق واضحة.. فطالما هناك قتيل مصاب بطلق ناري.. لا بد أن يكون هناك مسدس، حتى وإن لم نعثر عليه بعد.

طلبت من (جابر) -بيأس حاولت أن أخفيه- أن يجلس في مكانه وينتظر.. ولا أعلم سببا واضحا لذلك.. أردت فقط الإبقاء عليه متحديا نفسي أن أكشف طريقة ارتكابه للجريمة خلال الساعات القليلة القادمة.. ثم خرجت أجول في أنحاء الشركة التي تحتل طابقا كاملا في ذلك المجمع الذي يمتلئ بالشركات.. أفكر بعمق وأنا ألتفت حولي.. وأرى الموظفين جميعهم في حالة من التوتر في ظل وجود جريمة قتل ورجال الشرطة في كل مكان حولهم.. وقد تذكّرت أن عائلة القتيل لم تعرف بوجود الجريمة حتى الآن.. ربما.. ربما يفضل تأجيل الأمر قليلا.

عدت بعدها إلى غرفة القتيل لأجد رجال الأدلة الجنائية وقد انتهوا من عملهم للتو من دون أي تقدم يذكر.. حيث جلست أنظر بشرود إلى رجال الإسعاف الذين دخلوا لنقل الجثة إلى المشرحة.. ثم رحت أجري بعض الاتصالات الروتينية لإنهاء إجراءات التحقيق مع الجميع.. متوقعا ألّا تؤدي تلك التحقيقات إلى شيء أصلا.. وعالما أن قضية كهذه قد تظل معلّقة وحبيسة الأدراج إلى الأبد لو لم نعثر على السلاح.

لكن.. لا أعلم لماذا قررت القيام بخطوة أخيرة قبل أن أسمح ل(جابر) بالذهاب.. هل هو الحس البوليسي؟!.. لا أعرف.. إذ وجدت نفسي أتجه إلى شاشات المراقبة في الشركة.. لأجلس وأراقب شاشة الغرفة التي يجلس فيها (جابر) وحيدا.. أراقب أفعاله.. وتصرفاته.. أي إشارة قد تدلني على شيء.. أراقب لدقائق بدت طويلة للغاية.. ليتوقف بصري أمام ما رأيته على الشاشة.. لقد ظننت هذا التصرف تلقائيا عاديا نقوم به جميعا بين حين وآخر.. لكن ما أراه هنا يختلف تماما.. علي أن أتأكد أولا.. وهذا ما جعلني أحدق بالشاشة في دقة شديدة.. والوقت يمر.. يا إلهي!.. شيء كهذا لم يكن يطرأ في ذهني ولو بعد مائة عام.. إنه الحظ فقط وخبرتي ربما.. عموما.. كل ما أراه يؤكد صحة الاستنتاج الجنوني الذي طرأ في ذهني للتو.. ولو كنت مخطئا.. فلن يعلم أحد.. لذا لا بد من التجربة.

ذهبت إلى الغرفة التي يجلس فيها (جابر).. لأدخل بطريقة سريعة متعمدا إرباكه.. لكنه ظل باردا وهو ينظر إلي متأففا ويقول بسخط:

- هل انتهت تحقيقاتكم؟!.. لقد قضيت في هذه الشركة ساعات طويلة وعصيبة.. ناهيك عن الملل الذي يكاد يقتلني من الجلوس في هذه الغرفة، بعد أن أخذتم مني هاتفي.. كما أنني أشعر بالعطش والجوع.. و....

قاطعته بغموض:

-ألهذا أكلت مشابك الأوراق؟.

قلتها وأنا أشير إلى كمية من مشابك الأوراق الموجودة على مكتب الغرفة.. و.. حينها فقط بدا لي

وكأن ثقته في نفسه اهتزت لأول مرة.. فشعرت بأنني في الطريق الصحيح.. لذا أكملت قائلا وأنا أشير إلى كاميرا المراقبة الموجودة في الغرفة:

-ربما نسيت وجود كاميرا المراقبة هذه.. وربما لم تنسَ.. لكنك في كل الأحوال تصرفت بتلقائية.. وهذا ما جعلك ترتكب خطأ فادحا.. أعرف أننا جميعنا نضع في أفواهنا بعض الأشياء التي لا تؤكل بين الحين والآخر.. كقطعة بلاستيك.. أو ورق.. إلخ.. فأحيانا نبتلعها.. وأحيانا لا.. لكن في حالتك.. رأيتك تضع المشابك في فمك واحدا تلو الآخر.. وتمضغها ببساطة.. ثم تبتلعها.. كان هذا واضحا من خلال الكاميرا.

حاول التماسك.. حاول أن يبدو قويا.. إلا أن ملامحه تغيرت كثيرا، وقد علِم أنه وقع في الفخ.. لأكمل بابتسامة ساخرة:

-من المستحيل أن يطرأ شيء كهذا في ذهن أي رجل أمن في العالم.. أنا نفسي لم أكن لأصدق!.. لولا أنني رأيتك بنفسي لحسن الحظ.. أستطيع الآن أن أتهمك رسميا بأنك قتلت السيد (ف).. لقد ارتكبت جريمتك بواسطة مسدس كان بحوزتك حين دخلت مكتبه.. ثم.. أكلت المسدس وابتلعته.. أليس كذلك؟!!.

حاول أن يضحك بسخرية.. لكن ضحكته خرجت متحشرجة.. ليسعل بقوة.. ثم يقول:

-هل فقدت عقلك؟!.. أنت تتهمني بأنني أكلت مسدسا مصنوعا من حديد!!.

قلت متحديا:

-نعم.. إنك تأكل الحديد.. مهما بدا الأمر سخيفا للوهلة الأولى.. لكني واثق من كلامي.. ولا أستبعد أنك تأكل أشياء أخرى لا يصدقها عقل، ويعجز عامة الناس عن مضغها.. كهؤلاء الذين نراهم في السيرك، أو في برامج التلفزيون التي تتحدث عن القدرات الغريبة لبعض البشر ([7]).. عموما.. بإمكاننا فحصك لمعرفة ما تحويه معدتك.

لم يحتمل ضرباتي الكلامية هذه إن صح التعبير.. إذ خرس وتغيرت ملامحه إلى الخضوع والانكسار وقد علم إنه انكشف.. مما جعلني أكمل بجرأة:

-أعتقد أن رب عملك طلب منك أن تقتل السيد (ف) مقابل مبلغ ضخم من المال.. فالمنافسة بينهما معروفة.. هذا ما أكده لي رجالي قبل قليل.. وأنك وافقت على تنفيذ المهمة بعد أن تلقيت مبلغا هائلا نظير هذه الخدمة.. وقد اختارك رب عملك لأنه يعلم بمقدرتك على أكل الأشياء التي يعجز عامة البشر عن مضغها.. فظن أنك سترتكب جريمتك وتنجو.. وما قصة فصلك من عملك إلا مسرحية كذبت بها لتبرر وجودك في الشركة المنافسة.. لقد اعتمدت في جريمتك هذه على إخفاء الدليل فحسب.. مما أربكنا كثيرا والحق يقال.

كان شعورا رائعا أن أرى الدموع في عينيه.. وعجرفته تنهار أمامي.. وقد عرف أنني انتهيت منه حين طلبت من رجالي إلقاء القبض عليه، وإخضاعه للفحص الطبي للتأكد من محتويات معدته.. فكانت هذه المرة الأخيرة التي أراه فيها وهو يسير مكبلا منكسرا.. عالما أنه لم يتوقع أبدا أن يتم القبض عليه وكشفه بهذه السرعة.

ورغم سعادتي البالغة لأنني حققت انتصارا جديدا للعدالة.. إلا أنني -وبكل أسف- لا أظن أن رجل الأعمال المنافس سيعترف بفعلته.. فعلى الأرجح سينكر كل شيء.. وتكون كلمته مقابل كلمة (جابر).. إلا لو تمكننا من تتبع حساب (جابر) البنكي، علنا نعثر على أي شيء مريب.. سأترك الأمر

للنيابة والقضاء.. فقد أنهيت دوري على أكمل وجه.. وأغلقت ملف هذه القضية إلى الأبد.

ولا أعرف لماذا تذكّرت تمثال (السيدة عدالة) ([8]) الشهير الموجود في الكثير من قاعات المحاكم.. والذي يجسد العدالة من خلال امرأة معصوبة العينين، وهي تحمل في يدها ميزانا متساوي الكفتين.. وفي يدها الأخرى تحمل سيفا.. إذ شعرت حينها أن المسؤولية كبيرة جدا كي تظل كفتا الميزان متساويتين دوما.. من خلال سعيي الدائم لحل الجرائم وتقديم المجرمين إلى القضاء.. أتذكر أن هذه القضية تحديدا.. جعلت تمثال (السيدة عدالة) يطرأ في ذهني باستمرار أثناء تأدية عملي.

أنبوبة البوتاجاز

مقدمة

إنها واحدة من القصص التي أسردها لكم بناء على الأدلة والتحريات والاستنتاجات.. إذ لم ألتقِ بأي من أطرافها لأسباب ستتضح لكم في نهاية القصة.. لكني سأسرد تفاصيلها على لسان الشخصية الرئيسية فيها.. والسبب هو -كالعادة-اللمسة الدرامية.

وسأعود بعد ذلك في الخاتمة لذكر بعض الملاحظات الإضافية التي لا أستطيع التطرق إليها الآن؛ كيلا أفسد عليكم الأحداث.

لن أجد فكرة أبسط وأذكى من استخدام أنبوبة البوتاجاز لتنفيذ خطتي.. إنها الوسيلة المثلى لارتكاب جريمة قتل ولجعل الأمر يبدو وكأنه حادث منزلي عرضي.. أو إهمال منزلي.. إلخ من المسميات التي يطلقها رجال الشرطة على حوادث كهذه.

علي فقط أن أكون حذرا.. وأن أدرس خطتي جيدا وبسرعة.. حتى أتمكن من تنفيذها قبل فوات الأوان ومن دون نواقص أو ثغرات.. يجب أن أقتل عشيقتي التي ستتسبب لي بفضيحة تهز مركزي ومكانتي الاجتماعية.. ولا أبالغ لو قلت أنها ستدمر حياتي!!.

إنني رجل أعمال عصامي ([9]) أعيش حياة هادئة مستقرة قد تبدو مثالية للجميع.. إذ أمنح عملي كل الاهتمام المطلوب.. لأعود بعدها إلى البيت كي أمنح زوجتي وأولادي اهتمامي أيضا.. كما أمارس الرياضة بانتظام.. فأبدو للجميع نموذجا للرجل الناجح من الناحية الوظيفية والشخصية والعائلية.. لكني في الواقع أعيش حياة سرية لا يعرف عنها أحد شيئا سوى قلة قليلة من أصدقائي المقربين.. إذ أستغل بعض أوقات فراغي في اللهو والعبث مع الفتيات.

نعم.. لقد اعتدت منذ زمن أن أقيم حفلات خاصة محدودة الحضور في أوقات متباعدة من كل عام؛ لأقضي وقتا ممتعا بعيدا عن المسؤوليات.. وبحضور مجموعة من الفتيات الجميلات اللاتي يأتي بهن أصدقائي لإضفاء المزيد من المتعة على الليلة التي تمتد عادة إلى صباح اليوم التالي.. فنعاقر الخمر ونتعاطى بعض المواد المخدرة الخفيفة.. وقد كانت الحفلة الأخيرة تحديدا هي البداية الحقيقية لقصتي.. حين تعلق قلبي بفتاة بدت وكأنها في الثلاثينيات من عمرها.. حيث رأيتها تدخل بخطوات هادئة لتلقي التحية بصوت خافت.. ثم تجلس بكامل أناقتها وتنظر إلى السقف بطريقة تخلب لب أي رجل يراها.. وكان من الواضح أنها تفوقت بجمالها وأنوثتها ورشاقتها على كل الفتيات اللاتي تواجدن معنا في تلك الليلة.. مما جعلني أطلب من أصدقائي بإشارات واضحة أن يتركوا هذه الفتاة لي.. لأظل أحدق فيها وأنسى كؤوس الخمر والموسيقى الهادئة التي تزيد المكان شاعرية.. فتذكرت لا شعوريا سنوات مراهقتي.. حين كنت أرسم في مخيلتي فتاة الأحلام وأتمنى أن ألتقي بها في عالم الواقع.. لذا أستطيع أن أقول وبكل ثقة أنني عثرت على فتاة أحلامي أخيرا وقد جعلت قلبي يخفق لأول مرة طوال سنوات عمري ال 45.. فكان لا بد بعد كل هذا من دعوتها لتجلس بالقرب مني لنتبادل أطراف الحديث.

لم يتطلب الأمر وقتا طويلا كي يزيد انجذابي إليها.. إذ كانت على قدر من الثقافة.. وتحمل عقلا ناضجا على عكس مثيلاتها من الفتيات.. مما جعلني أقضي الليلة بأكملها أتحدث إليها وأعرفها أكثر وأكثر.. وأكتشف أنها تتردد على هذه الليالي الحمراء بعد أن طلقها زوجها وسلبها كل شيء..

خاصة وأنها تنتمي إلى عائلة مفككة لم يفكر أي من أطرافها بمساعدتها.. فتراكمت عليها الديون.. لتتحول إلى الفتاة التي أراها الآن.. إنها ظروف معتادة تتكرر كثيرا في كل المجتمعات.

كنت أرغب في التحدث مع (لمى) -وهذا اسمها- أكثر وأكثر.. لكن الوقت تأخر كثيرا وظهرت ملامح فجر اليوم الجديد.. ليقوم أحد الأصدقاء بتذكيرنا بضرورة إنهاء الحفل.. فنهضنا بتكاسل وخرجنا جميعا كل إلى وجهته.. لكن ليس قبل أن أحصل من (لمى) على رقم هاتفها.

كانت تلك الليلة هي العلامة الفاصلة في حياتي.. فبعدها بدأت علاقتي ب(لمى).. وراحت تنمو بسرعة مع مرور الأيام.. حتى إنني فكرت بالزواج منها بعد أن وجدت نفسي غارقا في حبها.. إلا أنني تراجعت عن تلك الفكرة بسبب وضعي الاجتماعي.. واكتفيت بتأجير شقة راقية جدا لها.. لتصبح وكأنها بيتي الثاني.. كما منحتها راتبا شهريا كي تعيش حياتها دون صعوبات.. وبالمقابل.. كل ما كنت أطلبه منها السرية.. السرية التامة فحسب.

وهكذا أضافت (لمى) لمسة سحرية من الحب والمغامرة وكل ما كنت أتمناه في حياتي.. فكنت أذهب إليها بين حين وآخر.. وأستريح عندها من كل متاعب وضغوط الأسرة والعمل.. فنقضي معا ساعات جميلة.. لأخرج بعدها وأمارس حياتي الطبيعية شاعرا أنني حصلت على جرعة معنوية هائلة.. ولا أنكر أن موظفي شركتي كلهم لاحظوا التغيير الكبير الذي طرأ على شخصيتي.. إذ أصبحت أكثر مرحا.. وأكثر هدوءا وتقبلاً للأخطاء.. ولم يكن من العسير أن يلاحظ أفراد أسرتي ذلك أيضا.. لكني ظللت أعزو تلك التغييرات إلى النجاح الكبير الذي أحققه في شركتي فحسب.

ظللت على هذا الحال لأكثر من سنة.. ازدادت خلالها علاقتنا قوة.. حتى بت لا أتحمل مرور يوم من دون أن أراها.. أو أتحدث معها هاتفيا على الأقل.. في حين ظلت هي تمنحني كل الاهتمام المطلوب.. وقد بدت ممتنة لهذا التغيير الجذري الذي أضفته إلى حياتها من سكن ومصروف شهري وإنهاء كل ديونها.. فلم تكن تخرج من الشقة كثيرا.. بل تقضي فيها جل وقتها.. ويقتصر خروجها فقط على الذهاب إلى النادي الصحي القريب الذي تقضي فيه ساعتين أو أكثر قليلا يوميا.

إلى أن جاء ذلك اليوم الأسود.. حين اتصلت بي (لمى) أثناء وجودي في الشركة.. وطلبت لقائي للضرورة القصوى.. وعبثا حاولت فهم ما تريده عبر الهاتف.. إلا أنها أصرت على أن تلتقي بي وجها لوجه كي تخبرني بما لديها.. مما جعلني أترك أعمالي وأتجه إليها ظنا مني أن الأمر بسيط ولن يكون بالخطورة التي تتحدث عنها.. فأنا أملك المال.. وهو كفيل بحل المشاكل كلها.. و.. حين وصلت.. وجدتها قلقة متوترة.

وما أن جلسنا في صالة الشقة.. حتى صعقت حين ألقت بتلك القنبلة:

-أنا حامل!!.

ربما توقع بعضكم هذا التطور في الأحداث بسبب الأعمال الدرامية العربية التي تكرر الفكرة نفسها حتى حفظناها جميعا.. لكن.. أصدقكم القول أنني لم أفكر بذلك أبدا.. إلى درجة أنني التفت إليها بذعر سقط معه كل كبريائي.. لأسألها:

-متى؟!.. وكيف حدث ذلك؟!.

هزت رأسها أسفا مشيرة أنها لا تملك الإجابة.. فسألتها بعصبية:

-هل يدخل أحد غيري شقتنا هذه؟!.

أعلم أن في سؤالي هذا إهانة كبيرة لها.. لذا ردت بحدة غير مصدقة اتهامي الواضح لها بالخيانة:

-هل جننت؟!.. كيف تتهمني بشيء كهذا؟!.

للأسف!.. في لحظات كهذه تسقط أقنعة الحضارة التي نرتديها.. وهذا ما جعلني أنهض وأقول صراحة:

-ولم لا؟!.. هل نسيتِ أين التقينا؟!.. هل نسيتِ من أنتِ؟!.

اغرورقت عيناها بالدموع لأول مرة منذ عرفتها.. ولا أنكر أنني بذلت جهدا خارقا كيلا أحتضنها رغم دقة الموقف وخطورته على سمعتي.. لتقول بأسف:

-لو كنت فقط تعلم مدى حبي.. لما طرحت هذا السؤال.. أنت أنقذتني من الشارع.. أنت حبيبي وولي نعمتي.. فكيف أخونك؟!.. إنني حتى لم أطلب منك يوما أن تقصر بحق أسرتك من أجلي.. وكنت أكتفي بأوقاتك القليلة التي تقضيها معي.

لم أرد على كلامها.. بل ظللت بين الشك واليقين.. أنظر إليها وأتذكر أنها فتاة تصغرني بأعوام طويلة.. وربما ترغب في علاقة مع شاب في مثل عمرها.. وقد أحبت أحدهم وباتت تلتقي معه هنا في فترات غيابي و:

-تستطيع أن تسأل رجل الأمن الموجود في الاستقبال؛ لتتأكد أن أحدا لم يدخل هذه الشقة يوما سواك.. بالإضافة إلى الخادمة التي استأجرتها لي لتزورني مرتين أسبوعيا كي تقوم بأعمال التنظيف.

أطرقت برأسي شاعرا بالأسف لشكوكي.. بالفعل.. أستطيع التأكد بسهولة إن كانت تخونني.. لذا فإن أمر الخيانة غير وارد هنا كما هو واضح.. وهذا ما جعلني أصمت مفكرا.. فاحترمت هي صمتي في المقابل.. لأقترب منها وأحتضنها بحنان.. ثم أقول:

-على كل الحال.. سنسافر معا إلى إحدى الدول التي تسمح بعمليات الإجهاض.. و...

لم أكمل عبارتي.. إذ قاطعتني بعصبية واستنكار بالغين وهي تقول:

-مستحيل.. مستحيل أن أقتل طفلي بنفسي.. إنه طفلك أيضا.. كيف تقتله؟!.

قلت بصرامة:

-إنه ما زال في بطنك ولم يرَ الحياة بعد.. لا مفر من التخلص منه.. لن أدمر حياتي وكل ما بنيته من أجل لحظة عبث.. هل تفهمينني؟!.

حسنا.. لا داعي للخوض في هذا الحوار الطويل المكرر الذي نعرفه جميعا.. فنتائجه واضحة.. إنها لا تريد التخلص من الجنين.. وأنا لا أريد جنينها هذا.. لأن ظهوره إلى الحياة سيعني كارثة ستدمر حياتي وحياة أسرتي.. حتى إن حبي ل(لمى) قد انهار فجأة.. بعد أن أصبحت تمثل لي تهديدا حقيقيا.. فهذا الطفل لا يمكن أن يرى الحياة.. لا يمكن أبدا.

المهم أن عنادها استمر رغم كثرة نقاشاتنا التي استغرقت أسابيع طويلة.. مما سبب لي ضغطا نفسيا هائلا.. مع تهديدها المستمر أن أمنح جنينها الشرعية المطلوبة وأعترف به وأتزوجها -وهو المستحيل بعينه بالنسبة لي- وإلا ستلجأ إلى القضاء.. فبت في موقف لا أحسد عليه أبدا.. حتى بدت لي شهور حملها كعداد القنبلة.. كل يوم يمر.. تقترب القنبلة من الانفجار.. وأعني بذلك ولادتها لذلك الجنين.

هنا يجب أن أعترف أنني حين استخدمت لفظة (قنبلة) في مخيلتي.. طرأت في ذهني تلك الفكرة.. أن أتخلص منها.. وأعني بذلك القتل!!.. لم يكن الأمر بهذه السهولة.. فعلي أولا أن أتقبل أنا نفسي فكرة أن أرتكب جريمة قتل.. لكن الفكرة ظلت تتكرر في عقلي وتصبح أكثر قبولا حين عجزت عن العثور على أي حلول أخرى.. فقط علي التفكير بالوسيلة المناسبة لقتل (لمى)، وأن أكون بعيدا عن الشبهات.

ظللت أفكر أياما طويلة وقد قل إلحاحي للتخلص من الجنين.. مما جعل (لمى) تشعر بالانتصار وأنها وضعتني أمام الأمر الواقع.. خاصة حين أخبرتها أنني أفكر في الزواج منها.. كل هذا لأكسب المزيد من الوقت.. و.. في النهاية اكتملت الخطة في ذهني.. من خلال العودة إلى عنوان القصة نفسها.. أتحدث هنا عن أنبوبة البوتاجاز التي ستجعل جريمتي تبدو كحادث منزلي عادي.. لكن قبل ذلك.. كان علي أن أطرح سؤالا هاما:

-من يعرف بأمر علاقتي بتلك الفتاة؟!.

ابتسمت لا شعوريا حين تذكرت أن لا أحد إطلاقا يعلم بأمر علاقتنا.. حتى أصدقائي المقربون أنفسهم.. فهم لم يروا (لمى) سوى مرة واحدة منذ أكثر من سنة في تلك السهرة.. ولا يعرفون ما حدث بعد ذلك.

لقد احتفظت بسرية علاقتي بها لحسن الحظ.. فالشقة مسجلة باسم (لمى) أيضا.. كما كنت أمنحها مصروفها وكل ما تحتاجه من مال دون أي تحويلات بنكية.. أي أن اسمي ليس مرتبطا بتلك الفتاة إطلاقا.

ربما الوحيد الذي يعرف بأمر علاقتنا هو رجل الأمن الذي يعمل في صالة استقبال المجمع السكني الذي استأجرت فيه الشقة.. لقد شاهدني كثيرا داخلا وخارجا.. فكنت أشتري سكوته وحفاظه على السر بمنحه بقشيشا محترما بين حين وآخر.. لكن الأمر سيختلف الآن.. عليه الرحيل والعودة إلى بلاده قبل تنفيذ خطتي.. لأن موت (لمى) في حادث عرضي سيعني تدخل الشرطة.. وربما يعترف لهم هذا الأحمق بأنه يراني ذاهبا إلى شقتها بين الحين والآخر.

لذا طلبت من رجل الأمن أن ألتقي به في الأيام القليلة القادمة خارج المجمع السكني للضرورة.. فوافق وهو يعلم أنني سأطلب منه شيئا يستوجب فيه دفع بقشيش كالعادة.. لكنه لم يتوقع أبدا أن أعرض عليه شيئا كهذا.. إذ قابلته فعليا في أحد شوارع منطقة سكنية حديثة.. وأخبرته أنني سأمنحه راتب 5 سنوات دفعة واحدة.. شرط أن يقوم بإنهاء عقد عمله ويترك البلد في أقرب فرصة.. مع ضرورة أن يمحو كل تسجيلات كاميرات المراقبة الموجودة في قاعة استقبال المجمع السكني.. ويبدو أن العرض كان مغريا كما شعرت من البريق الذي ظهر في عينيه.. بل تأكدت من ذلك حين وافق مباشرة من دون أي مساومة.. وقد زاد اطمئناني بعد أن أثبت لي لاحقا أنه لا توجد أي تسجيلات لكاميرات المراقبة أصلا.. لأنه يقوم في نهاية كل أسبوع بمحو التسجيلات السابقة.. مما أشعرني براحة نفسية هائلة.. لذا لم أتأخر كثيرا.. إذ أنهيت كل إجراءات الاتفاق في الأيام التالية ليرحل رجل الأمن عائدا إلى بلده.. مما يعني أن أحدا لم يعد يعرف بأمر علاقتي ب(لمى).. لتبقى الخطوة الأهم.. تنفيذ خطتي.

مرت أيام قليلة أخرى لم أقم خلالها بزيارة (لمى) إطلاقا بحجة انشغالي الشديد.. لكن الواقع أنني لم أكن أرغب أن تكشفني كاميرات المراقبة في أي زيارات جديدة.. إلى أن حان يوم التنفيذ.. حيث اتصلت بها وطلبت منها أن تعد لي وجبة عشاء على أن نقضي أمسية هادئة.. لأنني أحمل لها خبرا

سارا.. مما حفزها وجعلها تظن أنني سأزف لها بشرى إعلان زواجنا.. بل وتعمدت أن ألمح فعليا لذلك.. لأجعلها تترقب قدومي بفارغ الصبر.. مما وضعني أمام الخطوة الأخيرة.. وهي أخطر الخطوات.

لم أظن أنني سأخرج يوما بهذه الطريقة.. إذ ارتديت ثيابا شبابية.. ووضعت قبعة تخفي جزءا من ملامحي مع نظارة طبية كبيرة نسبيا.. ووضعت شنبا ولحية مستعارين كنت قد طلبتهما من أحد مواقع التنكّر عبر شبكة المعلومات.. فبدوت شخصا مختلفا تماما.. لأذهب بعدها إلى تلك الشقة التي بت أكرهها أكثر من أي شيء.

كانت الخطوة الأخطر هي المرور في قاعة الاستقبال بسبب كاميرات المراقبة كما علمنا.. لذا كنت أسير بقلق وبأقدام تهتز توترا.. وقد عقدت العزم أن أعود أدراجي لو سبب لي حارس الأمن الجديد أي مشاكل.. أعلم أن وجوده شكلي لا أكثر.. وأنه لا يسأل أصلا من يدخل أو يخرج عن إثباته الشخصي.. لكن هذا لم يكن كافيا لأطمئن.. فتجاوزت حارس الأمن الجديد لأسير بخطوات حاولت جعلها هادئة إلى المصعد.. وحين وصلت إلى باب الشقة.. خلعت أدوات التنكّر.. ووضعت كل هذا في حقيبة صغيرة كنت أحملها معي.

لم تراود (لمى) أي شكوك حين رأتني.. ففرحتها كانت أكبر من أي شيء وهي تترقب مني الخبر السار.. حتى إنها لم تنتبه إلى الحقيبة.. أو ربما انتبهت لكنها لم تكترث، وظنت أنني أحمل فيها أشياء تخص العمل.. المهم أننا جلسنا نتناول العشاء الذي أعدته لي.. وفي أجواء رومانسية أخبرتها خلالها أننا سنتزوج بالفعل.. وسأضع الجميع أمام الأمر الواقع.. وأنني أحبها ولا أقوى على فراقها.. ليرقص قلبها طربا وتنهض لتحتضنني.. ثم تدور بيننا أحاديث طويلة ظللنا نتبادلها بحماس مفتعل من طرفي.. إلى أن أخرجت من حقيبتي زجاجة لمشروب التفاح الغازي كنت قد وضعت فيها منوما قويا جدا.. وصببت كأساً لي ولها احتفالا بالقادم من حياتنا.. مدعيا أنني لا أريدها أن تشرب الخمر أبدا خوفا على الجنين.

كنت أشعر بقلق شديد.. إلى درجة أنني لم أشعر بطعم العشاء وهو يدخل جوفي.. لكن كان يتوجب أن آكل كي تقتنع (لمى) أن الأمور على ما يرام.. ويبدو أنني نجحت في ذلك.. خاصة حين رأيتها تشرب من كأسها لحسن الحظ وهي تبتسم ممتنة.. مما يعني أن خطتي متجهة إلى النجاح.. في حين كنت أضع كأسي على شفتي وكأنني أرشف منه أيضا وبطريقة تمثيلية تدربت عليها جيدا.. مدعيا أنني لا أرغب بشرب الكثير بسبب الأكل الذي ملأ معدتي.

عندها فقط جلست أعد الدقائق، وأنا أتحدث معها بحماس مفتعل عن مشاريعنا المستقبلية.. وأنني سأسير معها حتى لو اتجهنا إلى الهاوية.. و.. بدأت ألاحظ نعاسها وخمولها التام.. أراها تحاول أن تفتح عينيها بعناد.. لكن يبدو أن جفونها ثقلت كثيرا بفعل المنوم.. فنهضت لتخبرني أنها لا تعرف ما يجري لها.. وأنها تشعر بالدوار.. إلى أن فقدت وعيها ووقعت أرضا لتغرق في نوم عميق.

دب الحماس في جسدي فورا.. فنهضت من مكاني وحملتها حملا إلى فراشها، بعد أن استبدلت لها ثيابها بثياب النوم.. ثم قمت بتنظيف الأطباق، ووضعت كل شيء في مكانه.. ومن دون أن أفكر ببصماتي التي تملأ المكان.. لأن الحريق سيمحو كل شيء بطبيعة الحال.. لأقوم بعدها بفتح أنبوبة البوتاجاز.. ومع المدفأة الموجودة في غرفة النوم كوننا في فصل الشتاء.. سيبدو موتها وكأنه حادث عرضي.. إذ سيصل الغاز إلى المدفأة.. ويشتعل المكان بأكمله قبل أن تستيقظ (لمى)..

نعم.. هذه هي خطتي.

والآن كل شيء على أهبة الاستعداد.. حتى بت مستعدا للخروج بعد أن وضعت أدوات التنكّر مرة أخرى، وألقيت نظرة طويلة على نفسي من مرآة الحمام لأتأكد من إخفاء ملامحي جيدا.. لكن.. حين خرجت من الحمام.. فوجئت بضربة عنيفة على جبهتي أوقعتني أرضا، وجعلت رأسي يدور إلى أن فقدت الوعي!!!.

استيقظت بعد فترة قصيرة.. لأجد نفسي مقيدا في صالة الشقة بشريط بلاستيكي قوي.. وأحدهم يقف أمامي وهو يغطي وجهه بقناع.. فسألته بصعوبة وما زالت الآلام تسيطر على رأسي من قوة الضربة:

-من.. من أنت؟!.

رد بحزم وهو ينزع القناع عن وجهه:

-إنني قريب حارس الأمن الذي رحل من البلد.. لقد كان يراقبك جيدا.. وأخبرني أنني أمام فرصة لا تعوض لأسرق هذه الشقة.. وأحصل على مجوهرات حبيبتك.. لم يكن من العسير عليه ملاحظة ما كنت تشتريه لها من هدايا ومجوهرات.. ولأن حبيبتك هذه لا تخرج من شقتها تقريبا.. تأكدنا أنها تخفي كل شيء هنا.. لقد حصلت على مفتاح الشقة من قريبي.. وظللت في الخارج أسترق السمع.. لم أدخل الشقة إلا حين لاحظت الهدوء الذي خيم عليها.. الواقع أنني توقعتكما نائمين.. لكني فوجئت بالفتاة فقط نائمة.. وأنك في الحمام.. فتربصت بك لأقوم بضربك حال خروجك.

ظللت مشدوها من قوة الصدمة!.. وما زالت آثار الضربة تشعرني بالدوار.. لكني تمالكت نفسي وسألته متأوها:

-لماذا لم تسرق الشقة في وقت غيابي وترحل؟!.. سيكون هذا أقل مخاطرة من أن تفعل ذلك أثناء وجودي.

رد ببساطة:

-لا.. فربما تقود تحقيقات الشرطة إلي.. الحل الأسهل موتكما هنا.. أما أنا فسأكون في بلدي صباح غد وقبل أن يكتشف أحد جثتيكما.. لقد اتفقت مع أحد تجار الذهب والمجوهرات أن يشتري مني مسروقاتي نقدا.. لن تكون عملية إرسال المال إلى بلدي صعبة.. هناك طرق كثيرة لذلك.. إنها خطة متكاملة درستها بدقة.

و.. قبل أن أتفوه بكلمة.. اقترب مني وهو يضع شريطا لاصقا قويا على فمي.. ثم تأكد من قيودي تمهيدا لقتلي على ما يبدو.. ونظر إلي بسخرية بعد ذلك ليكمل بهمس:

-هؤلاء الأثرياء الملاعين.. يريدون كل شيء.. ولا يرغبون بدفع الثمن.

قالها وهو يخرج من جيبه سيجارة.. ويمسك بقداحته وسط نظراتي المذعورة.. هذا الوغد سيقتلنا ويموت معنا أيضا.. كيف لم تصل إلى أنفه رائحة الغاز بعد؟!.. إنها في كل أنحاء الشقة.. لكني فهمت السبب سريعا.. من الواضح أنه يعاني من الزكام وجيوبه الأنفية مغلقة.. أرى هذا واضحا وهو يحاول التقاط أنفاسه بين الحين والآخر.. لهذا لا تصل إلى أنفه أي رائحة.. ما هذا الحظ اللعين؟!!.

حاولت أن أطلق همهمات عالية وأنا أحاول تحذيره ألا يشعل سيجارته.. يا إلهي!.. إنها المرة

الأولى التي أرى فيها النار تشتعل في الهواء نفسه بعد أن تشبع بالغاز.. إنني أتنفس النار.. وأرى هذا الغبي ينظر حوله بذهول ودون فهم بسبب حدوث كل هذا في لحظات قليلة.. ثم راح صراخنا يعلو ويعلو والنار تلتهمنا وتلتهم كل شيء حولنا مع صوت انفجار أنبوبة البوتاجاز.. إلى أن علمت أخيرا أنها نهايتي.. وبسبب لم أضعه أبدا في الحسبان.. وجود طرف ثالث في القصة كان يراقب كل شيء.. ويطمع بكل ما اشتريته ل(لمى) من ذهب ومجوهرات.

خاتمة

قد يتساءل القارئ عن هوية الشخص الذي أخبرني بالقصة.. بما أن سياق أحداثها يوحي أن جميع شخصياتها الرئيسية لقيت حتفها.. وهو تساؤل قد يبدو مشروعا ومنطقيا للوهلة الأولى.. لكن.. يجب أن نتذكر أنه ليس من العسير أبدا على جهاز الشرطة في أي مكان في العالم فهم ما حدث بعد هذا الحريق الذي التهم الشقة بأكملها.. خاصة مع التحقيقات المستمرة وتقرير الطب الشرعي.. بالإضافة إلى بعض الخيال.. مما جعلني أصل النقاط ببعضها وأفهم ملابسات القصة.

لأشرع بعدها وأكتبها على لسان الشخصية الرئيسية فيها كما ذكرت في البداية.. حتى تصل إلى قلوب القراء، وليفهموا كيف كان يفكر رجل الأعمال هذا الذي أراد التخلص من حبيبته بواسطة حرقها وجعل الأمر يبدو وكأنه حادث منزلي.. لكنه لم يضع في اعتباره أبدا وجود طرف ثالث كان يراقب حياته ويخطط لسرقة محتويات الشقة.. ليحدث ما ذكرته لكم في تفاصيل القصة.. ويلقوا جميعا حتفهم احتراقا في النهاية.

لقطات

مقدمة

ستبدو لك هذه القصة غير مفهومة في البداية.. وستتساءل عن المغزى منها.. إلا أن الأمور ستتضح لك في نهايتها الغريبة.. النهاية التي ستجمع شتات الأحداث في حادثة واحدة تكشف لك كل شيء.. عليك فقط بالصبر قليلا.. وقراءة التفاصيل.. أو.. اللقطات القادمة.

بيت جميل حديث البناء في منطقة سكنية حديثة أيضا.. استثمره صاحبه بطريقة مميزة.. فهو مهندس معماري يعرف جيدا ما يفعله.. إذ قام بتقسيم البيت إلى 6 شقق.. في كل دور شقتان.. حيث تحتوي الشقق على كل ما قد تحتاجه الأسر الصغيرة.. لذا لم يكن من العسير أن تُستأجر في وقت قياسي.. فقد امتلأ البيت بالفعل.. وباتت كل شقة تحوي عالما خاصا بها.. ومن هنا بدأت القصة.. والآن.. لنتعرف على ما يحدث في بعض تلك الشقق.

الشقة رقم 3:

يعيش فيها رجل في منتصف الأربعينيات من العمر مع زوجته وابنتيه.. إحداهما في سن المراهقة.. والأخرى طفلة في ال 9 من العمر.. وتبدو الأسرة طبيعية لا تعاني أي ظروف خارجة عن المألوف.. وربما لا تختلف عن أي أسرة من الطبقة المتوسطة.. فالزوج وزوجته حاصلان على الشهادة الجامعية، ويعملان في وظائف حكومية بدخل جيد يؤمن لهما حياة كريمة.

أما الطفلة فلا تختلف أيضا عن أي طفلة في مثل عمرها.. لذا سيكون حديثنا عن الابنة المراهقة فحسب.. إنها في ال 16 من العمر.. تعيش حياة المراهقات وتحلم أحلامهن ولديها اهتماماتهن.. وتقضي معظم أوقات فراغها في وسائل التواصل الاجتماعي.. لكن الأب لم يكن يعجبه حالها كثيرا.. إذ يشعر دوما أن ابنته تعبث مع أحد المراهقين الملاعين الذين لا يتركون بنات العوائل المحترمة في حالهن.. فأراد القيام بدوره الرقابي كأب.. وهو يعلم جيدا أن أخطاء المراهقين قد تكون قاتلة وتدمر سمعة العائلة بأكملها.. خاصة الفتيات منهم.

فكر الأب في أحد الأيام وأثناء إحدى الإجازات أن يفعل ما خطط له منذ زمن.. أن يراقب ابنته جيدا للتأكد من سلوكياتها.. فاستغل فترة نومها.. وتسلل إلى غرفتها من دون أن تشعر وهي نائمة كالملاك.. ثم أخذ هاتفها.. نعم.. لقد لمحها منذ أيام قليلة وهي تضغط الأرقام السرية التي احتفظ بها في ذاكرته منتظرا اللحظة المناسبة.. وها قد أتت.

الأب يخرج من غرفة ابنته متجها إلى غرفة المعيشة.. ليبدأ بعدها بتصفح الهاتف بشيء من القلق.. مدركا أن أسرارنا في هذا الزمن تختبئ كلها في هواتفنا.. عيناه تبحثان بفضول شديد في تطبيقات التواصل الاجتماعي التي تستخدمها ابنته.. و.. يبدو أن ما رآه الأب لا يسر أبدا.. فوجهه يحمر فجأة.. وتكاد ترى أنفاسه تهبط وتعلو.. ليسير وهو يشتعل غضبا مقتحما غرفة ابنته بحدة.. وبصورة تختلف تماما عن كيفية دخوله إليها.

يقف الأب أمام فراش ابنته.. وينظر إليها في غل.. ثم ينفجر صارخا وهو يهزها بعنف ويرمي الهاتف في وجهها.. يفعل ذلك وهو ينعتها بأقذر الكلام ويصفعها أكثر من مرة متحدثا عما شاهده من محادثات وصور وكوارث -على حد وصفه- في حين نرى الفتاة مستسلمة تعيش صدمة الاستيقاظ المفاجئ وصدمة فضح أسرارها معا.. مما جعلها تلتزم الصمت التام.. ناهيكم عن أن ما

قاله والدها لا يمكن الكذب بشأنه أو الالتفاف حوله أصلا.. لقد كشف أمرها.. وهذا يكفي.. في حين نجد الأم تستيقظ مرعوبة من هذا الصراخ، فتذهب بخطوات سريعة لمعرفة سبب غضب زوجها.. وتندفع لحماية ابنتها من هذا العنف.. لكن الأب يدفع الأم.. ويضرب ابنته مرة أخرى.. ثم يتركهما وابنته تنهار باكية.. وكأن صدمة كشف أمرها أكثر ألما من الضرب الذي تعرضت له.

أما الابنة الصغرى.. فقد استيقظت بدورها، ووقفت عند عتبة باب غرفة شقيقتها من دون أن تفهم شيئا مما حدث!.. لكن تلك الأجواء المتوترة أصابتها بالخوف بكل تأكيد.. خاصة وأن الجميع تجاهلوا وجودها.. سوى الأب الذي صرخ بها أن تذهب إلى فراشها فورا، وألا تتدخل في مشاكل الكبار.

تمر بعدها الأيام.. وتبدو فيها الابنة المراهقة منكسرة إلى حد ما.. كما أن علاقتها بوالدها لم تعد على ما يرام.. فهو لم يعد يتحدث إليها كثيرا.. وأصبح يصدر إليها الأوامر فقط.. أهمها ألا تستخدم هاتفها في غرفتها أبدا.. بل عليها استخدامه دوما في غرفة المعيشة أمام الجميع.. حيث سيتمكن من الاطلاع على محادثاتها وألبوم صورها في أي وقت وبشكل مفاجئ.

ثم.. يأتي ذلك اليوم الذي نرى فيه جانبا آخر من حياة الأسرة.. إذ نرى الأم تستعد مع ابنتيها للذهاب إلى حفل زفاف أحد الأقارب.. فخرجن جميعهن متأنقات والأب يتمنى لهن سهرة سعيدة وقد قرر البقاء في الشقة هذه الليلة.

لكن بعد خروج الزوجة والابنتين.. سنفهم جيدا سبب بقاء الأب.. فها هو ينهض بخبث ليتأكد من قفل باب الشقة جيدا.. ثم يتجه إلى غرفة الخادمة.. ويدخل إليها ليحتضنها بقوة.. ويأتي بها إلى غرفة نومه.. وهناك.. مارست الخادمة معه أشياء مقرفة بغيضة.. لا نسمع أو نقرأ عنها إلا عند أصحاب الخيالات الجنسية المريضة!!.. ولا يمكن أن نذكرها هنا.. وإلا سيتدخل مقص الرقيب ويمنع هذه القصة من أن تصل إلى القارئ.

الشقة رقم 4:

قطط لطيفة جميلة ونظيفة للغاية.. هذا أول ما سنلاحظه في تلك الشقة.. سنعرف أن صاحبتها تعشق القطط بالفعل.. إنها سيدة مطلقة في منتصف الخمسينيات من العمر.. ويبدو أنها لم تنجب.. فلا نراها تخرج كثيرا.. ولا نرى أحدا يزورها بالمقابل.. مما يجعل جل اهتمامها يتعلق بالقطط فقط.. هناك على الأقل 18 قطة في شقتها.. وما يميز تلك الكائنات اللطيفة أنها هادئة غالبا، ولا تتطلب اهتماما زائدا كما هو الحال مع الكلاب.. فبعضها ينام بأمان في أماكن متفرقة من الشقة.. وبعضها الآخر يلهو هنا وهناك دون صخب.. لذا لم يشعر أحد من الجيران بالضيق.. بل إن بعضهم لم يعلم أصلا بهواية تلك السيدة التي تعيش حياتها بهدوء، والقطط في كل مكان من حولها.

وسيتبين لنا أيضا أن السيدة لها حساب على أحد مواقع التواصل الاجتماعي تعرض فيه قططها للبيع بمبالغ ليست بالقليلة.. وهذا ما يفسر اهتمامها الشديد بعملية التزاوج؛ حتى تحصل على المزيد والمزيد من القطط لتجارتها.. ولكن.. بعد مراقبة حياة تلك السيدة جيدا.. نكتشف ذلك الجانب الأسود الذي يمحو تماما الصورة الوردية عنها.

دعونا نلتفت إلى هذه القطة التي لا يتعدى عمرها شهرا واحدا على الأرجح.. هناك شيء ما يجعلها مختلفة عن قريناتها.. نعم.. إنها تعاني من إعاقة جسدية واضحة.. كما لوحظ خروج السيدة من شقتها برفقة تلك القطة لأكثر من مرة.. ربما بحثا عن طبيب بيطري يشفيها من

إعاقتها.. لكن.. يبدو أن لا علاج هنالك للأسف.. لذا نرى السيدة وهي تضع القطة في كيس بلاستيكي مغلق بإحكام شديد، دون أن يسمح للهواء بالدخول إليه.. ثم تضع الكيس في جهاز (ميكروويف) بعض الوقت، حيث تسمع فيه صرخات القطة إلى أن تهمد حركتها!!.. قبل أن تخرج السيدة ذلك الكيس وقد امتلأ بالدماء.. لا شك أنها يئست من علاج القطة.. وعلمت أنها لن تتمكن من بيعها لأحد.. فاستخدمت هذه الوسيلة البشعة لقتلها ومن دون مبرر.. لتتخلص من ذلك الكيس في حاوية القمامة خارج البيت.

ثم ننتقل إلى قطة صغيرة أخرى حديثة الولادة قبيحة الشكل.. قطة سوداء يحوي جسدها وحمة بيضاء زادت من قبحها.. إنها طفرة جينية كونها لا تشبه أيا من القطط الأخرى.. ونرى السيدة ذاتها تنظر إلى القطة، وتقلبها بيدها أكثر من مرة وهي تمط شفتيها بامتعاض.. وكأنها تمسك ببضاعة لا تجد فيها مربحا.. ثم تقوم بعمل أكثر بشاعة من المرة السابقة.. حين وضعت القطة في كيس بلاستيكي مغلق بإحكام أيضا.. لترميه في قدر مغلي قامت بتغطيته سريعا.. لنسمع صرخات مؤلمة تحت غطاء القدر الذي ظل يهتز بقوة للحظات.. لكن السيدة كانت تضع قفازا للطبخ، وتمسك رأس القدر بيدها كي لا يُفتح.. الغريب أن وجهها يحمل نشوة غريبة أثناء قيامها بذلك.. نعم.. إنها تستمتع بما تفعله.. وتنظر إلى القدر بتلذذ إلى أن همدت الحركة فيه تماما.. فتقوم السيدة بفتحه والتخلص من محتواه في حاوية القمامة إياها.

يتضح بعد مراقبة السيدة.. أنها لا ترى في تلك المخلوقات اللطيفة أكثر من عملية تجارية.. ولا تحمل أي عاطفة تجاهها.. بل هي تستمتع بتعذيبها.. ولا نبالغ لو قلنا إنها تشعر بشيء من الفرح حين يكون لديها بين الحين والآخر قطا لا يصلح للبيع.. وما نراه من اهتمام في بقية القطط هو مجرد اهتمامها في (البضاعة) لا أكثر.

الشقة رقم 6:

تعيش فيها أسرة صغيرة مكونة من الأب والأم مع ولد في سن المراهقة.. بالإضافة إلى شقيقتيه الصغيرتين.. ولا شك أن أول ما نلاحظه.. غياب الأب المتكرر عن البيت.. ربما تكون وظيفته السبب.. نستطيع أن نستنتج ذلك بسهولة بسبب الرداء الذي يرتديه أثناء خروجه.. والذي يحمل شعار إحدى شركات النفط.. أما الأم فنجد آخر اهتماماتها تربية أبنائها.. إذ تخرج معظم الأوقات تلبية لدعوات وولائم يبدو أنها تمنحها كل اهتمامها.. أما أثناء وجودها في البيت فمن الصعب أن نراها من دون هاتفها.. حيث تتواصل مع الأقارب والأصدقاء طوال الوقت.

نلاحظ أيضا أنها تقوم بواجباتها الدينية فيما يتعلق بالعبادات بدقة شديدة.. أما الشق الآخر من حياتها فلا نراه تقريبا.. نتحدث هنا عن دورها كأم.. ناهيكم عن تعاملها الصارم من دون رحابة صدر مع أطفالها؛ كونها لا تتحمل منهم أي خطأ.. فهي تقوم بمساعدة طفلتيها في الدراسة.. إلا أنها تقوم بمعاقبتهما بقسوة في حال تقصيرهما.. ويبدو هذا واضحا حين تجلس مع كل منهما قرابة الساعة من كل يوم، تحاول إنهاء فروضهما المنزلية.. وتتأكد من وجود ذلك الصندل قريبا منها.. فقط لكي تنهال به ضربا على طفلتيها لو أخطأت إحداهما أو قصرت في واجباتها الدراسية.. فنرى الطفلتين تبكيان بحرقة وهما تحاولان حل فروضهما، وملامحهما تمتلئ خوفا من ارتكاب الخطأ.. في حين نرى ولدها وقد اختفت شخصيته تماما.. وبات منعزلا عن الجميع بسبب سطوة والدته وقسوتها.. إنه يسمع عن حنان الأم.. لكنه لا يراه.. ويشعر بالأسى تجاه ما يحدث لشقيقتيه مع عجزه التام عن حمايتهما.

لقد حاول التحدث مع والده أكثر من مرة.. لكنه وجد الأب مهزوزا ضعيف الشخصية.. ترك كل شيء للأم التي تقود الأسرة بقسوة غير مفهومة.. أما التحدث مع الأم نفسها فهو المستحيل بعينه.. إنها لا تستمع إلى أحد.. وترى أن طريقتها في التربية هي الصحيحة.. ففكر الولد كثيرا بالانتحار وهو يرى هذا الظلم.. خاصة حين قامت والدته بِكَي يد شقيقته الصغرى ذات مرة وهي تمارس شقاوتها كأي طفلة.. نعم.. هناك أمهات يفعلن ذلك بالفعل!!.

من الواضح أن الولد في صراع شديد مع نفسه.. ومشاكله النفسية أخذت منه الكثير.. وجعلته بالكاد قادرا على مواجهة حياته.. فنراه -في غمرة يأسه- يحاول الانتحار فعليا بين الحين والآخر.. آخرها تلك المرة حين أفرغ علبة من الأقراص الطبية في راحة يده.. لقد كان ينوي ابتلاعها.. لكنه تراجع في آخر لحظة.. قبل أن يلوم نفسه بسبب خوفه من الإقدام على تلك الخطوة.. هذا واضح من بكائه المستمر.. وضربه لحائط غرفته بقبضته كل يوم من شدة القهر.

نستطيع القول أن لا أحد يعلم إلى أين تتجه حياة تلك الأسرة؟.. وأن مصيرها لا يبشر بالخير.. إذ يبدو لنا الأبناء وكأنهم على موعد مع أمراض نفسية كثيرة في المستقبل.. أبسطها الاكتئاب.. فمعظم الأمراض النفسية التي تصاحب الكبار.. تكمن جذورها في طفولتهم.

الشقة رقم 1

بعيدا عن كل ما يحدث.. نجد أن الشقة رقم 1 هي أهم شقق البيت.. فهي التي يعيش فيها صاحب البيت وحيدا.. إنه رجل غريب الأطوار.. لم يتزوج قط كما علمنا لاحقا.. وبسبب الملل الذي يعيشه.. قام بتصرف بغيض جدا.. لكنه مغرٍ جدا في الوقت نفسه بالنسبة للنفس البشرية الفضولية بطبعها.. فقد أشرف على وضع كاميرات المراقبة الدقيقة -بالصوت والصورة- في أماكن مخفية لا ينتبه إليها أحد في كل غرف الشقق.. ثم بدأ بمشاهدة سلسلة من أهم الأفلام وأكثرها إثارة.. أفلام الواقع!!.. إنها لذة ما بعدها لذة، أن تتجسس على الأغراب، وترى أدق أسرارهم بنفسك.. فقد كان يستمتع كثيرا في البداية.. ويقضي كل وقته أمام الشاشات يراقب حياة جيرانه.

لكن.. مع مرور الأيام.. علم أن الإنسان كائن مخيف.. وأن له جانبا مرعبا يجهله من يعيشون حوله.. من دون أن ينتبه صاحب البيت نفسه إلى سوء تصرفه، والذي يعكس أيضا طبيعة الإنسان المخيفة.. المهم أنه أصيب بنوبة اكتئاب حادة بسبب كل ما رآه.. لتسوء حالته النفسية تدريجيا مع إدمان مشاهدته لأسرار أصحاب الشقق.. وفي النهاية.. لم يعد يحتمل المزيد.

الخاتمة

طلب الضابط الأعلى رتبة -وهو مسؤولي المباشر-لقائي ليسألني عن تلك الحادثة.. فقلت له ما كتبته لكم.. وقلت له أيضا:

-لقد حاول مستأجرو الشقق التواصل مع المالك أكثر من مرة، من أجل صيانة التكييف والصرف الصحي كما تنص عقود الإيجار.. ومع وجود سيارة المالك في الخارج لفترة طويلة، وعدم رده على اتصالات المستأجرين، أو استجابته لمن يضرب جرس باب شقته.. ومع الرائحة الكريهة التي بدأت تخرج من تحت الباب وتزكم أنف كل من يقترب.. اتصل أحد الجيران بالشرطة.. فاتجهنا إلى البيت.. واضطررنا إلى فتح الباب بوسائلنا.. وحين دخلنا.. رأيت المالك جالسا على كرسي كبير ومريح، مما يوحي أنه يجلس عليه معظم الوقت.. ومقابله تماما شاشة التلفاز المقسمة بدورها إلى عدة شاشات تبث ما يجري في كل شقق البيت.. ورأيت الدماء تسيل من معصميه اللذين نزفا حتى موته.. حيث أثبت الطب الشرعي أن الرجل أقدم على إنهاء حياته بنفسه.. وأنا لا أجد أي أسباب لانتحاره سوى ما رآه.. خاصة حين شاهدت بنفسي تسجيلات التجسس على جيرانه، ورأيت فداحة ما يفعلونه.. لقد ذكرت كل هذا في تقريري.

سألني الضابط المسؤول باهتمام:

-هل ستفعل شيئا تجاه ما رأيته في تلك التسجيلات؟!.

قلت صراحة:

-لا يمكن أن أتجاهل ما رأيت يا سيدي.. سأتحدث مع تلك الأم وأحذرها من معاملة أطفالها بهذه القسوة.. وسأقوم بتهديد السيدة اللعينة التي تقوم بقتل القطط.. وسأفعل الأمر ذاته مع ذلك الوغد الذي يخون زوجته مع الخادمة.. لكن للأسف!.. لن نستطيع توجيه اتهامات رسمية كوننا كشفنا هذه الأمور بطرق غير قانونية أصلا كما تعلم.

أومأ الضابط المسؤول برأسه ارتياحا، وراح ينظر إلى شاشة الكمبيوتر على مكتبه بما يوحي أنه لا يملك ما يقوله.. فأديت التحية العسكرية.. لأخرج من مكتبه ومنظر مالك البيت لا يغيب عن ذاكرتي أبدا.. ذلك الرجل الذي أراد الاستمتاع بمشاهدة أسرار جيرانه.. لكنه لم يتحمل ما رآه.. فأصيب بالاكتئاب الشديد مع مرور الأيام.. وهو السبب الوحيد والمنطقي لانتحاره.. خاصة وأنه لم يكن يعاني من أي مشاكل صحية أو مالية كما أثبتت التحقيقات.. دعكم من أن شقته بدت مهملة للغاية.. وكذلك حالته وذقنه التي نمت كثيرا على عكس جميع صوره التي عثرنا عليها في ذاكرة هاتفه.. مما يؤكد سوء حالته النفسية التي أدت إلى الانتحار.

على كل حال.. سأقوم بما أخبرت به الضابط المسؤول، وأزور أصحاب تلك الشقق لأتحدث إليهم.. عالما أنني قد أضع نفسي في ورطة.. لأن وجودي هناك ليس له أي مبرر قانوني.. كما أنهم سيتساءلون عن كيفية معرفتي بكل ما سأخبرهم به.. فهم لا يعرفون بأمر التجسس.. لكن.. ربما علينا أحيانا أن نخاطر ونكسر القانون.. علنا نتمكن من تحقيق العدالة.. فالفارق بينهما شاسع.. شاسع جدا.

أحيانا يتدخل الحظ

كنت متجها صباح ذلك اليوم إلى أحد المجمعات التجارية الفخمة.. مرتديا ثيابا مدنية وممتلئا بالثقة، عالما أنني في طريقي لإنجاز مهمة سهلة من دون صعوبات أو عراقيل.. فأنا أمام جريمة واضحة المعالم لا تحتاج إلى بذل أي جهد.. وهي من المرات النادرة التي أشعر فيها أنني محظوظ بسبب دليل الإدانة الذي أملكه ضد المتهم.. والذي لن يخطر بباله أبدا.. كما كان للجو دور بكل تأكيد في مشاعري الإيجابية هذه.. بسبب السماء الملبدة بالغيوم، وكأنها بالون ضخم ينتظر وخزا بسيطا من إبرة.. لكي تتفجر السحب أمطارا.

هكذا كنت أفكر بعد أن ركنت سيارتي.. واتجهت إلى بوابة المجمع الرئيسية متجاوزا حارس الأمن بعد أن وضعت إثباتي الشخصي في وجهه.. ثم أخذت المصعد إلى الطابق الخامس حيث مكتب صاحب إحدى الشركات الحديثة.

ما أن وصلت.. حتى وجدت سكرتيرة مكتبه تجلس بثقة وهي تطبع شيئا وتحدق في شاشة الكمبيوتر.. في حين يجلس أحد الضيوف منتظرا السماح له بزيارة صاحب الشركة على ما يبدو.. فتنحنحت وقلت بخشونة متعمدة من دون أن أنظر إليها:

-سأدخل لأتحدث مع المدير لأمر هام.

ردت السكرتيرة برسمية متجاهلة طريقتي الفظة:

-السيد المدير لا يقابل أحداً من دون موعد مسبق.. فهل اتصلت لتحديد موعد؟!.

قلت باستفزاز:

-أنا المقدم (....) من المباحث الجنائية.. وأنا لا أقف أمامك لأطلب الإذن.. بل لإخبارك أنني سأدخل فحسب.

انكمشت في مكانها وهي تشير لي أن أفعل ما أريد.. ولا أنكر أنني شعرت بالندم جراء تصرفي هذا.. فلا أعتقد أن للسكرتيرة أي دور في التهمة التي سأوجهها لصاحب الشركة.. لذا التقطت أنفاسي متذكرا الوعد الذي قطعته على نفسي حين تخرجت من كلية الشرطة.. ألا أستغل سلطتي أبدا، وأن أعامل الناس باحترام.. سوى الخارجين عن القانون بالطبع.. وهو أمر بالغ الصعوبة بالمناسبة.. فللسلطة شهوة ولذة لا ينكرها أحد.. وقد يخضع لها الإنسان لو انجرف ولم يكبح جماحها.

سرت بخطوات واثقة إلى غرفة المدير التي دخلتها من دون استئذان.. لأجده جالسا يتحدث مع أحدهم عبر الهاتف.. لكنه أنهى المكالمة سريعا وقال بغضب:

-من أنت؟!.. وكيف تجرؤ على الدخول هكذا فجأة؟!.

ظللت محافظا على برودي.. والتفت كي ألقي نظرة سريعة على مكتبه الفخم.. لا أبالغ لو قلت أن هذا المكتب أكبر من صالة بيت العائلة.. فأبديت انبهاري برفع حاجبي للأعلى من دون أن أرد على كلامه.. ثم اتجهت ببرود إلى الكرسي المقابل لمكتبه، وجلست أمامه وسط نظرات استغرابه.. قبل أن أعرفه بنفسي وأنا أنظر إليه باستهتار.. ليصعد الدم إلى رأسه غيظا للحظة.. إلا أن ملامحه لانت سريعا.. ليقول بتحدّ:

-لا شك أنك من رجال المباحث الذين يبحثون عن ثغرات أو شبهات في تعاملاتي المالية.. لقد أخبرتكم سابقا.. لا يوجد لدي ما أخشاه.. فأموالي شرعية.. ورثتها من والدتي رحمها الله.

أكملت ساخرا:

-أعرف.. ورثت أموالك من والدتك التي كانت لا تثق بالبنوك كما هو الحال مع كبار السن.. وكانت تودعها في خزنة حديدية في غرفتها.

رد مستفزا وهو يتحسس سيجارا أخرجه من علبة فاخرة موجودة على مكتبه:

-أنت تعرف هذه الحقيقة.. لماذا أنت هنا إذا؟!.

قلت مفكرا:

-لأنني لا أصدق شيئا كهذا.. أعرف أنه يمكنك خداع القانون.. لكنك لا تستطيع خداع إحساس رجل الأمن.

أطلق ضحكة طويلة ساخرة ليقول:

-حسنا.. فلتتقدم بشكوى ضدي وتتحدث فيها عن إحساسك.. أظن أن القاضي سيموت ضحكا لغبائك.. لكن.. لا أظن أنك ستفعلها.. اسمعني جيدا.. رغم أنني حديث نسبيا في عالم التجارة.. إلا أنني أعرف كيف تسير الأمور.. فأوراقي سليمة.. وجميع العقارات التي أمتلكها اشتريتها من إرث والدتي.. ولم يكن من العسير أن تتضاعف أموالي بعد ذلك.. لذا لن تجد شيئا ضدي.. وشكوكك لن تضرني لأنها من غير أدلة.. أو.. ربما أنت هنا لسبب آخر.

قالها بطريقة ذات مغزى.. وكأنه يلمح إلى منحي رشوة كي أكتب تقريرا يبرئه تماما حتى نغض النظر عنه إلى الأبد.. لكني سأستمر معه في لعبته.. فلا بأس ببعض العبث.. وهذا ما جعلني أقول بغموض:

-نعم.. أنا هنا لسبب آخر.

سكت وأنا أنظر إلى عينيه المتسائلتين.. لأقول بحزم:

-أعرف أنك كنت منذ أسابيع عند شريكك الذي عملت معه في تجارة المخدرات.. وقد حصلتما على أموال طائلة نظير تجارتكما القذرة هذه.. وكنت أنت من تقوم بدور غسيل تلك الأموال مقابل نسبة عالية ([10]).. وأعرف أن شريكك هذا تاب إلى الله منذ مدة.. لكن الإحساس بالذنب ظل يقتله بسبب الأُسر التي تدمرت والشباب الذين قتلهم الإدمان وانهار مستقبلهم.. فلجأوا إلى الانتحار.

نظر إلي بذهول سرعان ما زال.. ليرد ببرود:

-أنا لا أعرف عن أي شريك تتحدث.. ثم أن في كلامك تناقضا شديدا.. فكيف يتوب إلى الله ثم ينتحر؟!.

غمغمت ببساطة:

-أنت تعرف شريكك جيدا.. كان مضطربا للغاية.. خاصة وأنه لم يكن يتاجر بالمخدرات فحسب كما تفعل أنت.. بل كان يتعاطاها أيضا.. إلى أن وصل إلى مرحلة قريبة من الإدمان.. قبل أن يحدث شيء ما جعله يتوب.. لكن تأثير المخدرات -التي أتلفت خلايا مخه- لا يزول بسهولة..

فأصيب بسبب ذلك باضطرابات نفسية حادة.. وشخص كهذا.. من الممكن أن يقدم على أي شيء.. بل إنه من المفترض أصلا أن يقوم بتصرفات متناقضة.. وهذا ما جعله يقدم على الانتحار رغم توبته.

رد بلا مبالاة:

-وما شأني بهذه القصة؟!.. أنا لا أعرف الشخص الذي تتحدث عنه.

قلت ببرود:

-أنا لم أكمل كلامي بعد.. لقد كان شريكك قريبا من الانتحار بالفعل.. قبل أن تدخل الشقة التي استأجرتماها باسمه.. لتراه واقفا على كرسي خشبي بعد أن ربط رقبته بسلك بلاستيكي قوي يتحمل وزنه.. لم تهمّك حياته بالطبع بقدر اهتمامك بالمبلغ الضخم الذي حصل عليه من صفقة المخدرات الأخيرة التي قمتما بها قبل توبته.. فقد احتفظ بالمبلغ رافضا التصرف به أو منحك نصيبك لأنه مال حرام.. وبعد شد وجذب بينكما لم يجد خلاله شريكك الوقت الكافي لفك السلك المربوط حول عنقه.. وفي غمرة يأسك من اعترافه.. فقدت أعصابك ودفعت الكرسي كردة فعل تجاه إصراره على الرفض.. فاختل توازن شريكك ولقي حتفه شنقا.. وليس انتحارا.. لحظة غضب منك تحول فيها الانتحار إلى جريمة قتل.

احمرّ وجهه توترا.. مما جعله يلتزم الصمت تماما.. لأكمل:

-كنت سعيدا واثقا من نفسك.. ظنا منك أن القانون لن يطولك.. لأن شريكك هيأ الأجواء كاملة للانتحار.. أما أنت.. فدفعت الكرسي وغيرت الحادثة بأكملها متيقنا أن أحدا لن يكشف أمرك.. فالشقة مسجلة باسم شريكك.. وأنت لا تزورها إلا نادرا وفي أوقات متأخرة كيلا يراك أحد.

كان صامتا متجهما بعد أن فقد الثقة بموقفه.. لكنه تجاوز كل هذا ليقول بصوت متحشرج:

-قصة جميلة ابتدعها خيالك المريض.. لكنك لا تستطيع أن تثبتها أبدا.

أطلقت ضحكة ساخرة لأقول:

-الطريف أنك رحت تدندن بأغنية (الليالي السعيدة) للفنان (عبدالله الرويشد) بعد أن عثرت على المال مخبأ في الشقة.. ثم خرجت تاركا شريكك الذي فارق الحياة.. وللأسف! فإن جثته ظلت معلقة هكذا لأيام.. إلى أن بدأت رائحتها تخرج من الشقة.. ليتصل بنا الجيران وتأخذ الأمور مجراها القانوني المعتاد.

أشاح بوجهه عني.. وراح ينظر إلى شاشة الكمبيوتر وهو يقول:

-لدي أعمال كثيرة.. لا أملك الوقت لسماع ترهاتك.

قلت بابتسامة عريضة:

-ألن تسألني على الأقل كيف عرفت كل هذا؟!.

كان واضحا أن كلامي أثار تساؤلاته وقلقه كثيرا.. لكنه ظل محاولا الحفاظ على بروده، وإن كان قد فشل في ذلك.. إذ أجاب بصوت مرتجف:

-بكل تأكيد لكم أساليبكم يا رجال الشرطة.. لكن لن تثبت شيئا ضدي.

حينها ألقيت بالمفاجأة التي جئت من أجلها:

- يبدو أنك نسيت ما يصاحب المنتحرين عادة.. إنهم يتركون رسالة يشرحون فيها سبب انتحارهم.. رغم أنهم انتقلوا إلى عالم لا تنفعهم فيه رسائل كهذه.. لكنهم غالبا يفعلون ذلك لشعورهم بالذنب القاتل.. كحال شريكك.. فهو لم يتحمل عقدة الشعور بالذنب.

أصابه شيء من الارتياح لكلامي.. فقال مبتسما:

-لو كان قد ذكرني في رسالة انتحاره فهذا لا يعني أي شيء.. إنه اتهام لا دليل له.

قلت ضاحكا:

-لكنك لم تسألني عن ماهية هذه الرسالة.. فهي لم تكن رسالة مكتوبة.. بل صوتية.

نظر إلي مستفهما.. لأكمل بتشف واضح:

-لقد قام شريكك بربط طرف السلك البلاستيكي في حلقة معدنية قوية معلقة في السقف.. ثم لف الطرف الأخر من السلك حول رقبته وربطه بإحكام وهو يقف على كرسي.. كل ما كان يحتاجه هو دفع الكرسي.. إنها الطريقة الشهيرة التي نراها في الأفلام لكل من ينوي الانتحار شنقا.. وبعد أن وقف على الكرسي.. أخرج هاتفه من جيبه.. وراح يسجل صوته وهو يتحدث عن سبب إقدامه على الانتحار وشعوره بالذنب تجاه الشباب الذين تدمرت حياتهم بسببه.. وأثناء ذلك.. أجهش بالبكاء.. لكن.. حدث ما لم يكن في الحسبان.

تعلقت أنظاره بملامحي وأنا أتحدث بكل ثقة.. لأكمل:

-فأثناء بكائه.. وقع منه هاتفه ليستقر تحت السرير.. مما جعله يحاول أن يفك السلك البلاستيكي المعلق في رقبته.. لكنه عجز عن ذلك.. وظل هكذا لأكثر من نصف ساعة عاجزا عن الوصول إلى الهاتف لإكمال رسالته.. وعاجزا عن فك السلك البلاستيكي في الوقت نفسه.. عندها.. فوجئ بك تدخل شقته.. وتطلب منه نصيبك من المال الذي كان ينوي تركه للشرطة، كونه مالا ملعونا جاء من تجارة قذرة.

زاغت عيناه في محجريهما وهو يقول متلعثما:

-يا إلهي.. هل تعني؟!.. هل تعني أن...

قاطعته ساخرا:

-نعم.. لقد سقط هاتفه تحت السرير.. لكنه ظل يسجل كل شيء.. فسجل محادثتكما كاملة.. بل وعلمنا من سياق كلامك معه.. أنك أنت الذي دفعت الكرسي ليموت شريكك.. أي أن الأمر لم يعد مجرد انتحار كما أخبرتك.. بل جريمة قتل ارتكبتها أنت بنفسك.. كل هذا كان مسجلا صوتيا وأنت تخبره غاضبا أنك ستقتله ولن تنتظر منه إكمال عملية انتحاره.. لكن في عرف القانون.. تعد هذه جريمة قتل بالطبع.. فهو لم يكن قد انتحر بعد.. ولا ننسى حديثك معه ومطالبتك له بالمال، وشرحك كيفية حصولكما عليه، وأنك كنت طرفا رئيسيا في تجارة المخدرات الحقيرة التي مارستماها منذ مدة.

كان كلامي صادما بالنسبة له.. حتى إنه لم يقل عبارة واحدة مفهومة.. بل تلعثم كثيرا.. لأكمل وأنا أنهض من الكرسي:

-والآن يجب أن تعرف أنني هنا بأمر من النيابة.

قلتها وأنا أرمي بإذن النيابة في وجهه.. ثم أتصل هاتفيا برجالي الذين كانوا ينتظرون خارج المبنى.. لأطلب منهم المجيء والقبض على هذا الحقير.. كان بإمكاني القبض عليه حال دخولي مكتبه.. لكن هناك متعة لا توصف في الإيقاع بالمجرمين بهذه الطريقة.. فبزيارتي المفاجئة له.. ظن أنني لا أملك أي دليل ضده.. وهذا ما جعله يتصرف بغرور حين تحدثت إليه في البداية.. أما لو اقتحمت مكتبه مع رجال الشرطة مباشرة.. فكنت سأفقد هذه المتعة.

من الرائع كسر غرور المجرمين.. هذا أجمل ما في عملية القبض عليهم.. خصوصا هؤلاء الذين يظنون أن موقفهم سليم، وأنهم اتخذوا كل احتياطاتهم ليبقوا بعيدين عن أعين رجال الأمن.

وهكذا انتهت القصة ببساطة شديدة.. فذلك الهاتف ظل يسجل ويسجل إلى أن نفدت البطارية.. لكننا عثرنا عليه بعد أن اكتشفنا وجود الجثة.. وقمنا بتحميل كل بياناته على أجهزتنا.. لنتفاجأ بوجود التسجيل الصوتي الذي كشف كل شيء.. مما وفر علينا الكثير من الوقت والتحريات.. إنها من الأوقات النادرة التي يتم فيها كشف الغموض عن الجرائم بهذه البساطة.. فأحيانا تساعدنا الظروف.. ويتدخل الحظ.



العدالة.. قبل القانون

حادث دهس.. هذا ما ظننته.. قبل أن يخبرني أحد رجال الشرطة أن هناك شاهِدا يدّعي أن الأمر لم يكن حادثا أبدا.. بل دهس متعمد لرجل في منتصف الثلاثينيات كان يمارس رياضة المشي.. وأن الرجل في حالة خطرة جدا وقد يموت في أي لحظة.. في حين يحاول رجال الإسعاف إنقاذه وهم في طريقهم إلى المستشفى.

هذا ما جعلني أذهب إلى مكان الحادث بسرعة في تلك المنطقة السكنية.. حيث ما زال هناك بعض رجال الشرطة الذين استمعوا إلى ذلك الشاهِد وسجلوا ملاحظاتهم، ثم أخذوا كل بياناته حتى تسهل عملية الوصول إليه لتسجيل أقواله في محضر رسمي.. أما أنا فقد قرأت البيانات المذكورة عن السيارة حسب وصف الشاهِد الذي تبين أنه رأى رقم السيارة أيضا لحسن الحظ.. أي أن القضية في منتهى السهولة كما يبدو الأمر للوهلة الأولى.

وبالفعل.. لم يطل الأمر كثيرا.. فخلال نصف ساعة فقط.. عرفت هوية صاحب السيارة.. أو فلنقل.. صاحبة السيارة.. والمفاجأة الأكبر أنها زوجة الرجل الذي تعرض للدهس!!.. هل أرادت قتل زوجها بهذه الطريقة؟!.. ستتضح الصورة كاملة بعد قليل.. هذا ما قلته لنفسي وأنا أتحدث مع أحد رجالي عبر الهاتف لأخذ العنوان.. حيث اتضح أن الزوجين يقيمان في المنطقة نفسها.

أستطيع أن أستنتج أن هناك خلافا نشب بين الزوجين.. وأن الزوج خرج للسير واستنشاق الهواء.. وقد خرجت الزوجة بسيارتها غاضبة.. وحين رأته أمامها.. صدمته بسيارتها.. ثم انتهت لحظة الغضب وأدركت فداحة ما فعلته وولت هاربة.. هذا ما تبدو عليه الأمور.. عموما.. سأعرف كل شيء قريبا.

وصلت إلى العنوان.. لأجد السيارة المستخدمة في الدهس تقف أمام الباب الرئيسي.. إنها هي بالتأكيد.. سيارة جيب من طراز (لاند كروزر).. هذا غريب!.. هل يعقل أن تقوم الزوجة بدهس زوجها ثم تعود إلى البيت وكأن شيئا لم يكن؟!.. نزلت من سيارتي متجها إلى سيارة ال (لاند كروزر) لإلقاء نظرة سريعة عليها.. ورحت ألتف حولها بهدوء ليتوقف بصري عند ذلك الانبعاج القوي في الناحية الأمامية.. مؤكد أنه جراء الاصطدام بزوجها كما قال الشاهِد.. الأمور كلها تسير في صالح العدالة.. حتى إنني أتساءل: ما الذي ستقوله الزوجة دفاعا عن نفسها؟.. وهذا ما جعلني أضغط على زر جهاز المناداة على الباب.. لأسمع صوت أنثوي يرد بتوتر ويسألني عن هويتي.

عرفتها بنفسي، وطلبت منها أن تفتح الباب فورا.. الغريب أنني توقعت منها اعتراضا أو على الأقل أن تطلب إذنا من النيابة كي أملك الحق للوقوف أمام باب بيتها.. إلا أنني فوجئت بها تظهر أمام الباب بعد لحظات وهي تطلب مني الدخول.. فألقيت عليها تحية هادئة وأنا أنظر إليها محاولا كشف خباياها.. إنها فتاة في أواخر العشرينيات من العمر ربما.. نحيفة جدا.. ولا أظن أن الأمر يتعلق بممارسة رياضة معينة.. بل هو عامل نفسي.. أو أن صحتها ليست على ما يرام.. لكني احتفظت بهذه الملاحظات لنفسي مؤقتا بانتظار ما ستسفر عنه الزيارة.

لم يستغرق الأمر وقتا طويلا قبل أن أجد نفسي في صالة البيت الصغيرة.. حيث جلست أمام الفتاة التي بدت متوترة للغاية.. وقلت صراحة:

-أنت تعرفين سبب زيارتي.

هزت رأسها إيجابا.. لتقول بصوت يقطر ألما:

-بسبب زوجي.. تستطيع أن تقبض علي الآن إن شئت.

فاجأني استسلامها الغريب.. وأثار فضولي كثيرا.. فسألتها عن ذلك.. لتنفجر باكية.. وبطريقة أخرستني تماما.. حتى إني احترمت بكاءها واكتفيت بمنحها علبة المحارم الورقية الموجودة على الطاولة.. فأخذَت منها ما أخذَت لتمسح دموعها وتتمخط.. ثم قالت بصوت يقطر حسرة:

-المعذرة على انهياري.. إن زوجي رجل حقير.. حقير جدا.. إنه نصاب.. شرير.. لديه الكثيرون من الأعداء.. ولم أسلم من شره للأسف.. فهو يسيء معاملتي باستمرار.. وضربني بعنف أكثر من مرة.

قالتها وهي تريني جانبا من رقبتها كانت تغطيه بشعرها.. لأرى كدمة كبيرة.. ثم كشفت عن كتفها -متجاهلة قواعد اللياقة- لأرى كدمة أخرى.. وأكملت كلامها بحرارة وقهر وهي تنظر إلى عيني مباشرة:

-الكدمات كثيرة في كل أنحاء جسدي.. فذلك المجرم لم يكن يتفاهم معي سوى بالضرب.. ولم أكن أملك القدرة على طلب الطلاق.. لأنني سأبيت في الشارع في تلك الحالة.. فأنا من أسرة تعاني ظروفا مادية صعبة للغاية بسبب الديون التي تراكمت على والدي.. حتى إن راتبي لا يكفيني أسبوعا واحدا بعد أن حصلت على قرض بنكي وسلفة من أكثر من شخص لمساعدته.. إنني في حالة مادية ميئوس منها.. فديون والدي كثيرة.. وأنا أبذل المستحيل مع شقيقتي لننقذه من السجن.. ولا يمكن أن أعيش بدون مساعدات زوجي المالية.. أي أن الأمان المادي هو الذي يجعلني أتحمل كل ما يفعله بي.

قلت بحذر:

-كان بالإمكان تقديم شكوى ضده على الأقل.. لا بد أن يوقفه أحد عند حده.

ردت بحنق:

-ثم ماذا؟!.. سأحصل على الطلاق؟!.. سيضطر إلى التوقيع على تعهد؟!.. إنني الخاسر الأكبر في تلك الحالات.. وللأسف فقد اكتشفنا منذ سنتين تقريبا أنني أعاني مشاكل في الإنجاب.. وهذا ما جعله يسيء معاملتي أكثر.. قد تسألني عن سبب تمسكه بي.. إنه يفعل ذلك مستمتعا لأنني تحت رحمته.. أقسم لك أن هذا هو السبب الوحيد لإبقائه على زواجنا.. فكما قلت لك.. إنه إنسان حقير بمعنى الكلمة.. وهو محامٍ بالمناسبة.. ربح الكثير من القضايا، وتضخم رصيده البنكي بسبب ثقافته القانونية المذهلة، وقدرته على البحث عن ثغرات في الجرائم لتبرئة المتهمين.. لاحظ أنه في الثلاثينيات من العمر.. ورغم ذلك فقد تمكن من شراء هذا البيت من دون أي قروض بنكية.. ومن دون مساعدة أحد.

ظلت تتحدث وتتحدث.. إلى أن وصلني اتصال هاتفي من أحد رجال الشرطة، يخبرني أن الأطباء عجزوا للأسف عن إسعاف المصاب الذي لفظ أنفاسه الأخيرة في المستشفى منذ قليل.. فاغتنمت الفرصة لأسأل الشرطي إن كان يملك أي معلومات عن الضحية.. ليخبرني كلاما شبيها للغاية بما قالته الزوجة.. هذا الرجل فاسد بكل المقاييس.. وهناك شبهات رشاوٍ دفعها للتلاعب في الكثير من الأدلة لكي تميل القضايا لصالحه.. إلا أنه ظل دوما يفلت من القانون لعدم كفاية الأدلة.. أي أن في موته رحمة للناس كما هو واضح.

لكن في النهاية.. لا أستطيع إلا أن أؤدي واجبي للأسف.. إذ سألت الزوجة:

-كيف قتلتِه؟!.

كنت أعرف الإجابة بالطبع.. لكني أردت الاستماع إلى التفاصيل.. فالتقطت نفسا عميقا لتقول بصوت مضطرب:

-هناك أوقات تفقد فيها الأمل بكل شيء.. وتشعر أن حياتك لن تتغير إلى الأفضل أبدا.. خاصة حين صفعني اليوم.. وركلني في معدتي أثناء وقوعي على الأرض بسبب خلاف تافه لا يستحق الذكر.. فرغم أنني أحاول دوما أن أتجنبه.. إلا أنه يبحث عن الشجار كي يضربني متلذذا بممارسة سلطته علي.. المهم أنني اليوم قررت الانتحار حال خروجه من البيت.. إذ دخلت الحمام وبيدي علبة أدوية كنت على وشك ابتلاعها كلها.. ثم.. توقفت في اللحظة الأخيرة.. أنت تعلم أن قرار الانتحار ليس سهلا مهما كانت ظروفك.. فظللت للحظات أفكر عما يجب فعله.. ثم قررت العدول عن هذا القرار.. وأعدت الأقراص إلى العلبة.. لأخرج بسيارتي كي أنفرد بنفسي بعض الوقت.. إلى أن صادفت زوجي وهو يقوم برياضته المعتادة.. حينها طرأت الفكرة في ذهني.. فهذا الحقير هو من يستحق الموت وليس أنا.. لذا وجدت نفسي لا شعوريا أضغط على دواسة السرعة لأدهسه.. حتى إن عجلات سيارتي مرت فوقه.

قلت مغمغما:

-لهذا السبب رأيت ذلك الانبعاج في الناحية الأمامية من سيارتك.

ردت بسخرية حزينة:

-لا.. هذا الانبعاج بفعل حادث السير الذي ارتكبته منذ أيام قليلة.. إذ اصطدمت بسيارة أحدهم أثناء امتلاء عيني بالدموع، بعد أن أصبح البكاء عادة يومية في حياتي بسبب ظروفي الصعبة.. لكن الرجل كان طيب القلب.. فسامحني وطلب مني الرحيل دون أن يسجل قضية.

لن يغير كلامها شيئا.. سأضطر آسفا إلى القبض عليها.. ثم قلت مغمغما:

-هناك شاهِد أيضا على جريمتك.

غمغمت بأسف:

-أعرف.. لقد انتبهت إلى وجوده بعد أن دهست زوجي.. لهذا فقدت الأمل في أن أنجو من تلك الفعلة.. وجلست في البيت منتظرة مصيري باستسلام.

أومأت برأسي موافقا وأنا أقول:

-لقد أدلى الشاهِد بأوصاف سيارتك كاملة.. وحتى برقمها.. لذا.. عليك المجيء معي الآن إلى المخفر للبدء بالتحقيق وتسجيل أقوالك.. على الأرجح ستوجه إليك تهمة قتل زوجك عمدا دون سبق الإصرار والترصد ([11]).

قلت كلامي بخفوت شديد للتخفيف من وطأته.. لكني فشلت بالطبع.. فكلام كهذا لا يمكن أن يقال بطريقة يقبلها المتلقي.. وهذا ما جعل الزوجة تنهض باستسلام وكأنها فقدت الأمل في كل شيء.. ولم يعد هناك فرقٌ فيما سيحدث.

أخذتها معي إلى المخفر لتسجيل اعترافها في محضر رسمي.. وأثناء الطريق.. اتصلت بأحد رجالي، وطلبت منه إبلاغ الشاهِد بتأدية واجبه في المجيء أيضا إلى المخفر لتسجيل أقواله في المحضر.. ثم.. كانت تلك اللحظة التي طرحت فيها سؤالا عشوائيا غيّر مسار القضية بالكامل.. أنا نفسي لا

أعرف لماذا طرحت ذلك السؤال.. ربما هو شرودنا.. أو صوتنا الداخلي الذي يقودنا إلى قول شيء قد نندم عليه أحيانا.. وأحيانا أخرى يقدم لنا فائدة هائلة.

كان هذا حين سألت الشرطي إن كان يعرف شيئا عن الشاهِد.. فأجاب بالنفي.. عندها طلبت منه أن يجمع لي المعلومات الأساسية عنه.. لأنهي المكالمة وأنسى كل ما يتعلق بشأن طلبي.. وأبدأ بعدها بطرح الخيارات المتاحة للزوجة محاولا مساعدتها بشتى الطرق.. بعد أن وجدتها مجرد ضحية تراكمت الضغوط عليها وفعلت ما فعلته.. أعرف أن هذا غير مبرر أبدا للقتل.. لكني أعرف أيضا أن لكل إنسان نقطة انفجار.. والمعلومات التي وصلتني عن زوجها تجعلني على يقين أنها عاشت أياما سوداء معه.

وصلنا إلى المخفر أخيرا.. حيث تبعتني الزوجة إلى مكتبي قبل البدء بفتح محضر رسمي لتسجيل اعترافها.. ثم طلبت لها عصيرا باردا.. ورحت أنظر إليها متذكرا جرائم أخرى تم ارتكابها بفعل أشخاص عجز القانون عن مساعدتهم.. فأخذوا حقهم بأيديهم إن صح التعبير.. وهنا أؤكد للمرة الثانية أن هذا غير مقبول كوننا لا نعيش في غابة.. ثم إن العدالة كفلها القانون رغم أوجه القصور الكثيرة فيه.. إلا أن الصراع في داخلي لم يتوقف رغم ذلك.. كم أتمنى أن أساعد تلك الفتاة.. لكن كيف؟!.

أفكر بكل هذا وأنا أنتظر انتهاءها من شرب العصير.. قبل أن يدخل مكتبي أحد رجال الشرطة ويؤدي التحية العسكرية.. ثم يقول:

-المعذرة يا سيدي.. أردت إخبارك أن الشاهِد هنا، وهو ينتظر في الخارج.. لكن...

لم يكمل عبارته.. فاتجهت حواسي إليه لا شعوريا.. ليقترب مني ويهمس في أذني بحرص شديد كيلا تسمعه الزوجة.. في البداية ظننت أن هناك سوء فهم أو أنه مخطئ.. حتى إنني سألته باستغراب وبصوت مرتفع إن كان متأكدا من معلوماته.. ليجيب بثقة تامة أن كل معلوماته دقيقة.

هذا لا يصدق.. لا يصدق أبدا!.. هذه الصدفة لا تحدث إلا واحد بالمليون.. إنها عدالة السماء دون شك، ولا أجد لها أي تفسير آخر.. فطلبت منه الانصراف وأنا أفكر بمصير الزوجة.. وأن الحياة -ربما-ابتسمت لها أخيرا.. مما جعلني أبتسم تلقائيا وأنا أنظر إليها وسط نظرات استغرابها.. لأقول مذهولا:

-اسمعي جيدا.. أنت لم تعترفِي رسميا بالجريمة.. كان اعترافك لي فقط ولم يسمعه غيري.. ولن يؤخذ باعترافك هذا إلا حين يتم تسجيله في محضر رسمي.. وأنا أدرك أنك أتيت معي لعلمك أن هناك شاهِدا على الجريمة سيفضح كل شيء وقد فقدتِ الأمل بالنجاة.. لكن.. هناك مفاجأة هائلة لم تخطر على البال أبدا.. ربما هي هدية إلهية نزلت عليك من السماء.. فهذا الشاهِد لا قيمة له على الإطلاق!!.

نظرت إلي من دون فهم.. لأكمل:

-الشاهِد على جريمتك محكوم عليه منذ عدة سنوات بجريمة مخلة بالشرف والأمانة.. وهذا يعني أن القضاء لن يأخذ بشهادته.. الغريب أن المحامي الذي تمكن من تدمير مصداقية ذلك الشاهِد.. هو زوجك نفسه!!!.

يبدو أنها بدأت تفهم.. لكني أكملت ولم يتلاشَ ذهولي بعد:

-لقد كان أحدهم سيستخدم ذلك الشاهِد يوما ضد زوجك في إحدى القضايا.. ولأن زوجك كان

داهية في عمله.. فقد راح يبحث عن أي شيء يدعم موقفه.. إلى أن عثر في ملف الشاهِد على جريمة قام بها منذ سنوات طويلة.. ليتمكن من تدمير مصداقيته.

قالت مصدومة:

- هل تريد أن تقول أن زوجي قد دمر يوما مصداقية رجل أمام القضاء.. وأن ذلك الرجل هو الشاهِد نفسه على جريمتي؟!.

قاطعتها متنفسا بعمق:

-نعم.. نستطيع أن نقول الآن أنه لا يوجد أي دليل على أنك الفاعلة.. خاصة وأنك لم تعترفِي بعد.. أما الانبعاج الموجود في مقدمة سيارتك فهو نتاج حادث مروري آخر ارتكبته بنفسك كما أكدتِ لي.

سألتني بحذر:

-والآن.. ماذا سيحدث؟!.

قلت صراحة:

-لا أعرف إلى أين ستقود تحقيقات الشرطة.. فربما يتم فحص سيارتك والعثور على ما يقودهم إلى أنك الفاعلة.. في هذه الحالة سيتم اتهامك بالقتل غير العمد وستتراوح العقوبة بين الغرامة المالية أو الحبس.. وعلى الأرجح ستتجه الأمور إلى الغرامة المالية لعدم وجود سوابق في ملفك.. أما لو قررت الاعتراف بنفسك.. فستكون العقوبة أخف وطأة أيضا.. الخيار بيدك.. ولا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك.

انفرجت أسارير الزوجة فجأة.. ودبت الحياة في ملامحها.. حتى كادت أن تقفز فرحا وهي تقترب مني لتصافحني بحرارة بعد أن فهمت كل شيء.. وهي تؤكد أنها ستفكر جيدا قبل أن تتخذ قرارها اليوم أو غدا كأبعد تقدير.. وتضاعفت فرحتها حين أخبرتها أنها سترِث زوجها في كل الأحوال.. مما يعني انتهاء مشاكلها المادية.. لأن القتل الخطأ -سواء اعترفَت بنفسها أو قادت التحقيقات إليها- لن يحرمها من حقها في الورث على عكس القتل العمد بالطبع ([12]).

أما الشاهِد.. فقد قابلْته بعد خروج الزوجة وأخبرته بما عرفته عنه وأنه من الأفضل أن يعود إلى بيته.. فامتثل لكلامي وهو يشعر بالحرج.. إذ يبدو أنه نسي أن شهادته تجاه أي قضية ستكون مصدر شك ولن يقبل بها القضاء.. بسبب جريمته التي ارتكبها منذ سنوات طويلة وبعد أن قام ذلك المحامي الفاسد بتحطيم مصداقيته.. من دون أن يعلم أن المحامي نفسه سيقدم خدمة العمر لزوجته فيما بعد.. بسبب تصرفه هذا.

و.. تتضارب مشاعري نتاج ذلك.. إذ شعرت بالذنب وبخيانة الأمانة.. لأنني ساعدت الزوجة على الإفلات من قبضة القانون.. فقد كان بإمكاني إخفاء المعلومة التي عرفتها عن الشاهِد ومن ثم جعلها تعترف بجريمتها في محضر رسمي.. لكني ظللت محاولا تذكير نفسي أن القوانين قاصرة.. وأننا نحتاج أحيانا تدخلا سماويا لتحقيق العدالة.. وأن الصدفة التي عشت تفاصيلها منذ قليل كانت عناية إلهية لإنقاذ الزوجة ولتحقيق العدالة التي عجز عنها القانون.. أم أنني على خطأ وكان يجب علي تسجيل اعتراف الزوجة وأترك القانون يأخذ مجراه؟!.. لا أعلم.. الإجابة متروكة لكم.

خاتمة (سالِم)

لا أنكر أن قلقي لم يتوقف لحظة واحدة أثناء سردي لهذه القصص.. حتى إنني لم أتطرق تقريبا لحياتي الخاصة.. وإلى زوجتي التي ساعدتني في التفكير والاستنتاج في بعض القضايا.. وربما لهذا السبب أيضا لم تكن كل القصص تتعلق بذكائي أو استنتاجي السليم.. وهو ما أعتبره أقرب إلى الواقعية.. ناهيكم عن حرصي على ألا يأخذ القراء عني صورة خاطئة بأنني شخصية خارقة تحل الألغاز والقضايا في عبقرية فذة.. في حين أنني مجرد رجل أمن عادي نجحت أحيانا كثيرة لحسن الحظ.. لكني فشلت أيضا في بعض القضايا.. وتدخل الحظ في قضايا أخرى وجعل كفتها تميل لصالح العدالة.. وهو ما يحدث بالفعل في واقع الحياة.

فباستثناء قصة (بصمة) و(أين السلاح؟).. هناك قصص لم يكن لي أي دور فيها سوى الاستماع، مثل قصة (خدمة للمجتمع) و(الكرسي).. وأخرى جاء تدخلي فيها بعد نهايتها حيث لعب فيها الاستنتاج دورا في محاولة تفسير أحداثها.. مثل (أنبوبة البوتاجاز).. وربما (القطات).. وأخيرا القصص التي تدخّل فيها الحظ كما هو الحال في (أحيانا يتدخل الحظ) و(العدالة.. قبل القانون).. حيث كانت واضحة المعالم لا تحتاج الكثير من التخمين.

على كل حال.. سأنتظر ردود الأفعال.. وأتابع تعليقات القراء بصمت في وسائل التواصل الاجتماعي.. فقد أجد منهم الدافع للاستمرار، ولسرد أجزاء أخرى وأخرى من مذكراتي.. مع قصص قد يكون حضوري فيها أقوى وأكبر.. ونهايات غير متوقعة جديدة.

المقدم/ سالِم فهد ال...

(تم الكتاب بحمد الله)



Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـاة

فهرس المحتويات..

الملاحظات

[←1]

(1) نسمع كثيرا عن بصمات الأصابع إلى درجة أنها أصبحت من البديهيات، وإن كنا لا نتعمق عادة في تفاصيلها.. لذا وجب التنويه أن بصمات الأصابع عبارة عن مجموعة مما يشبه النتوءات المرتفعة في الجلد والشبيهة بالتلال.. لهذا يُطلق عليها مصطلح (تلال الاحتكاك).. ويوجد على هذه التلال مسام مرتبطة ارتباطاً مباشراً بالغدد العرقية الموجودة أسفل الجلد.. ولهذا أصابعنا تترك أثراً على أي شيء نلمسه بسبب العرق الناتج عنها.. وتحمل (تلال الاحتكاك) هذه أشكالاً حلزونية ودائرية على سطح الأصابع.. حيث تحتوي فيما بينها على مجموعة من المنخفضات الدقيقة التي نراها بصعوبة بالعين المجردة.. ومن الجميل أن هذه الأشكال ليست عشوائية.. بل تتخذ أنماطا محددة تجدها عند كل إنسان على سطح الأرض.. وتنقسم البصمات إلى 3 أنواع.. وهي:

) النمط القوسي.. فتكون البصمة عبارة عن أقواس متماثلة مرصوصة فوق بعضها بانتظام.. وهي موجودة عند حوالي 5% من البشر.

2) نمط الدوامات.. فتكون البصمة في هذه الحالة دائرية الشكل.. وهي منتشرة ما بين 30-35% من البشر.

3) النمط الحلقي.. وهو عبارة عن حلقات تبدأ من جانب الأصبع ثم تتجه إلى الأعلى وتلف حول نفسها.. وهذا النمط ينتشر عند حوالي 60-65% من البشر.

ولو قمت بالتركيز في نمط بصمتك.. ستعرف على الأرجح إلى أي فئة من الأنواع الثلاثة تنتمي.. علما بأن بصمة الإبهام تتكون عند الجنين خلال الأسابيع الأولى من الحمل.. ثم تتخذ شكلها الكامل أثناء الفترة بين الشهر الرابع والسادس.. لتبقى بهذا الشكل طوال العمر.. ويؤكد العلماء أن البصمة تنمو من طبقة داخلية في الجلد.. فجلد الإنسان يتكون من طبقتين أساسيتين.. طبقة يطلق عليها اسم (البشرة)، وهي الطبقة الخارجية التي نعرفها جميعا.. وطبقة داخلية يطلق عليها اسم (الأدمَة).. ويوجد بين الطبقتين حد فاصل يطلق عليه اسم (طبقة الجلد الوسطى) أو (الطبقة القاعدية).. وهذه الطبقة هي التي تنمو منها البصمة.. وسبب ظهور البصمة من الأساس أن (طبقة الجلد الوسطى) هذه تنمو أسرع من الطبقتين الأخريين.. وبالتالي -ومع الضغط- تخترق طبقات الجلد لتظهر على هيئة بروز أو تلال.. لتصبح هي البصمة في شكلها الحالي.

[←2]

(2) يجب التطرق هنا إلى حادثة شهيرة.. وهي حادثة التوءم (ألبرت فوكس) (Albert Fox) و(إبنزر فوكس) (Ebenzer Fox).. حيث كان التشابه بينهما مذهلا إلى درجة أن والديهما قاما بربط شريطة بلون مختلف على معصم كل منهما ليستطيعا التميز بينهما.. وقد كبر التوءمان ليصبحا من أشهر الخارجين على القانون.. إذ قاما بارتكاب العديد من الجرائم.. لكن رجال الشرطة عجزوا عن الإيقاع بهما، بسبب تشابههما التام واتهام كل منهما للآخر بأنه هو من ارتكب الجريمة.. مما جعل رجال الشرطة في حيرة شديدة لمعرفة أيهما الجاني الحقيقي؟.. أو إن كانا شريكين في تلك الجرائم.. وقد كان هذا التوءم السبب الرئيسي في اعتماد بصمات الأصابع لتحديد هوية الجاني فيما بعد.. إذ حصل رجال الشرطة على بصماتهما.. وبدؤوا التحقيقات من خلالها في عام 1904 ليتمكنوا أخيرا من تحديد هوية كل منهما ومعرفة الجرائم التي قاما بها.. حيث اتضح أن الشقيقين متفقان بالفعل على تبادل الأدوار دوما لإرباك أجهزة الأمن.. كما أن هناك جريمة أخرى حديثة نسبيا وأكثر حنكة وبراعة.. وهي تلك التي ارتكبها التوءمان لبنانيّا الأصل (حسن) و(عباس).. واللذان لم تكشف الصحف عن اسميهما كاملا احتراما لعائلتهما.. فقد قام أحدهما بالسطو على أحد أشهر متاجر المجوهرات في (برلين) عام 2009 وهو متجر (KaDeWe).. وسرقة ما يعادل 6 ملايين (يورو) من الساعات والمجوهرات.. إذ عجز رجال الشرطة عن تحديد هوية الجاني الذي ارتكب جريمته مرتديا قفازا لإخفاء بصماته.. رغم أن كاميرا المراقبة في المحل قامت بتصوير أحد التوءمين متلبسا بكل وضوح.. فلم يكن أمام السلطات سوى إطلاق سراحهما كون الأدلة المتوفرة تبين أن أحدهما فقط ارتكب تلك الجريمة التي وصفتها الصحف ب (الجريمة الكاملة).

[←3]

(3) حقيقة بالطبع.. ويجب أن نذكر هنا أن بصمة الإصبع الخاصة بك عزيزي القارئ لم تأت إلى هذا الكون سوى مرة واحدة فقط ومن خلالك.. فهي علامة مميزة لكل إنسان في العالم، ولا يمكن لأحد أن يقوم بتقليدها.. علما بأن أول من اكتشف وجود بصمات الأصابع هم الصينيون منذ حوالي 2000 عام.. حيث كان الأباطرة يستخدمون بصمات الإبهام للتوقيع على الوثائق.. ثم انتبه إلى أهميتها في العصر الحديث الضابط البريطاني السير (وليام جيمس هيرشل) (William James Herschel)، فقام باستخدامها في منتصف القرن ال 1 للتوقيع على عقود العمل في (الهند) أثناء فترة الاستعمار البريطاني.. وبعد ذلك بدأ العلماء والباحثون بدراسة بصمات الأصابع بشكل أكبر.. إلى أن تمكن العالم والطبيب البريطاني (هنري فولدز) (Henry Faulds) = =عام 1877 من ابتكار طريقة تصوير البصمة على ورقة باستخدام حبر المطابع الأسود.. ثم جاء العالم الإنجليزي السير (فرانسيس غالتون) (Francis Galton) في عام 1892، ليثبت أنه لا توجد بصمتا إصبعين متطابقتان على كوكب الأرض أبدا.. وقد أكد أن بصمة أي إصبع تبقى كما هي طوال العمر.. وفي عام 1901 طبق جهاز الشرطة في (لندن) نظام التعرف على المجرمين من خلال بصمات أصابعهم.. وهو ما يعد اللبنة الأولى للنظام الذي تستخدمه أجهزة الشرطة في كل دول العالم حاليا.. حيث يتم أخذ بصمات الخارجين عن القانون والاحتفاظ بها في السجلات الرسمية؛ لتسهيل مهمة الكشف عن الجرائم المستقبلية في حال كشف وجود بصمات للأصابع في مسرح الجريمة.. وقد يسأل البعض عن سبب وجود بصمة مميزة ومختلفة عند كل إنسان.. الواقع أن الإجابة تكمن في عاملين مؤثرين على نمط البصمة.. العامل الأول وراثي.. فالأخوة غالبا تتشابه بصماتهم إلى حد ما.. لكن الفروق تبقى واضحة رغم ذلك.. والعامل الثاني هو الظروف التي تحيط بالجنين أثناء وجوده في رحم والدته.. وهي كثيرة جدا.. مثل ضغط الدم الخاص به ومستويات الأكسجين في الدم.. والنظام الغذائي للأم.. ومستويات الهرمونات.. وموضع الجنين في رحم الأم.. بالإضافة إلى السائل الذي يحيط بجسم الجنين بالكامل.. ومن المستحيل أن تتشابه كل هذه العوامل بالدقة نفسها بين شخصين في العالم.. حتى التوائم المتماثلة.. وتجدر الإشارة أن بصمات الأصابع هي الوسيلة المثلى للحفاظ على المعلومات السرية.. فأرقامك السرية بالإمكان اكتشافها بشيء من التخمين؛ كونها غالبا ما ترتبط بك.. مثل تاريخ ميلادك أو يوم مميز بالنسبة لك.. إلخ.. أما بصمة الوجه فبالإمكان التلاعب بها أيضا.. ويحدث هذا من خلال التوائم المتماثلة.. بل توجد بالفعل لقطات في (YouTube) تبين كيف تمكن التوائم من خداع الهواتف الذكية.. كما يمكن خداع بصمة الصوت.. فبإمكان أحدهم تسجيل صوتك دون أن تعلم ليستخدمه في تجاوز نظام الخصوصية في جهازك.. وأخيرا وليس آخرا.. يجب التنويه إلى أنه من الممكن أن تتعرض البصمة إلى التشوه بسبب الجروح العميقة والحروق أو الإصابات الجلدية التي تحدث لعمال البناء مثلا.. أو من يقوم بغسيل الصحون باستمرار حيث تفقد بصمته بعض ملامحها.. أو حتى من يعمل في مجال المواد الكيميائية.. ولكن بمجرد أن تزول هذه المسببات ويتجدد الجلد التالف.. تنمو البصمة وتستعيد شكلها القديم.. علما بأن البصمات تبقى صالحة للفحص لآلاف السنوات بعد وفاة الإنسان لو تم حفظ جثته من التحلل من خلال تجميدها.. أو تحنيطها.

[←4]

(4) (روبن هود) (Robin Hood) شخصية إنجليزية خيالية من القرون الوسطى.. تمثل صورة الفارس الشجاع البطل الذي يتمتع بمهارة مدهشة في القتال.. حيث استخدم كل قدراته وأتباعه في محاربة الظلم والطغيان وسرقة الأغنياء لأجل إطعام الفقراء.. وقد كان يتخذ من غابات (شيروود) (Sherwood Forest) ملاذا له من جنود الحاكم الظالم الذي ظل يبحث عنه باستمرار دون أن يتمكن من القبض عليه.

[←5]

(5) (نيرد) (Nerd) مصطلح إنجليزي شهير يُستخدم للإشارة إلى الشخص المثقف والانطوائي بشكل مفرط.. والذي يفتقر إلى المهارات الاجتماعية.. حيث يقضي أوقاتا طويلة في ممارسة أنشطة غير شائعة.. والتي عادة ما تكون إما أنشطة تقنية بحتة كما هو الحال في قصتنا.. أو أنشطة مجرّدة كقراءة كتب الخيال.. ويوصف ال (Nerd) عادة على أنه خجول، غريب الأطوار، وغير جذاب في مظهره الخارجي الذي لا يمنحه أي اهتمام.. فيتعرض غالبا إلى المضايقات بسبب نمط حياته.. خاصة لو كان في مراحل الدراسة.. علما بأن الكثيرين ممن تنطبق عليهم هذه الأوصاف يرون اللفظة مهينة ولا يقبلونها.

[←6]

(6) يجب التنويه هنا أن لكل مسدس ماسورة تعبرها الرصاصة عندما تنطلق.. وبداخل هذه الماسورة توجد بروزات حلزونية مهمتها المحافظة على انطلاق الرصاصة في خط مستقيم مع زيادة سرعتها في الوقت نفسه، لكي تكون أكثر فاعلية عند إصابتها للهدف.. ويطلق خبراء السلاح على هذه البروزات الحلزونية مصطلح (الخشخنة) أو (التحزيز).. ويجزمون -بالاتفاق مع الأدلة الجنائية- أن هذه (الخشخنة) تترك على سطح الرصاصة خدوشا ذات نمط وشكل خاص يختلف فيه كل مسدس عن الآخر تماما.. بحيث تصبح تلك الخدوش على سطح الرصاصة أشبه ببصمة الإصبع.. لا مثيل لها قط.. إلا على سطح رصاصة أخرى انطلقت من المسدس نفسه.

[←7]

(7) حقيقة.. وموقع (YouTube) يحتوي على لقطات لأشخاص يمتلكون القدرة على مضغ وابتلاع كل شيء تقريبا.. وهنا لا بد أن نستذكر أبرز هؤلاء الأشخاص.. وهو الفرنسي (ميتشل لوتيتو) (Michel Lotito) (1950-2007).. الذي اشتهر بأكل الأشياء التي لا يمكن أن يتم مضغها أو هضمها.. حيث بدأ (ميتشل) بأكل الأشياء غير العادية منذ سن ال 16.. فقد كان يعاني اضطرابا يطلق عليه (شهوة الغرائب) أو (Pica Disorder) باللغة الإنجليزية.. وهو اضطراب نفسي شائع ولكن على درجات متفاوتة من شخص إلى آخر.. إذ يبدأ من مضغ وابتلاع الأشياء البسيطة كقصاصات الورق والأوساخ والشعر.. إلى قطع الحديد كما هو الحال في قصتنا.. وكما هو الحال أيضا مع (ميتشل لوتيتو) الذي احتوت معدته على عصارات هضمية قوية لا تتوفر عند أي إنسان.. مع بطانة سميكة في معدته وأمعائه.. مما يسمح له بتناول معادن حادة وثقيلة دون التعرض لأي إصابة.. وهذا ما جعله يأكل الزجاج والمطاط والمعادن.. حتى إنه التهم ذات مرة دراجة كاملة.. بل وفي مرة أخرى التهم طائرة صغيرة بعجلتين.. حيث تطلب التهامها سنتين كاملتين.. ويعتبر فيلم (Swallow) (ابتلاع) والذي تم انتاجه عام 2019 من أهم الأفلام التي عالجت هذا الاضطراب الذي يتداخل غالبا مع الأمراض النفسية الأخرى.. كالقلق والتوتر والاكتئاب.. فيؤدي إلى تناول مواد غير صالحة للاستهلاك الغذائي وبصورة منتظمة.. علما بأن هذا السلوك قد تتعرض له المرأة خلال فترة الحمل.. وتجدر الإشارة إلى أن ما يتناوله المصاب بهذا الاضطراب لا يضره صحيا عادة.. ولكن في بعض الأحيان قد يصاب ببعض المضاعفات اعتمادا على ما يبتلعه.. خاصة لو كان جسده غير مهيأ لذلك.. كالإصابة بالإمساك وانسداد الجهاز الهضمي والتسمم بالرصاص جراء تناول الطلاء مثلا.. أو العدوى الطفيلية من أكل التراب.. إلخ.

[←8]

(8) تجدر الإشارة إلى أن أصل تمثال (السيدة عدالة) (Lady Justice) يعود إلى الحضارة الرومانية.. حيث تم تقديمه إلى الناس أول مرة على يد الإمبراطور الروماني (أوغوستوس) (Augustus).. ويجسد هذا التمثال الشهير الآلهة (جوستيشا) (Justitia) التي ترمز إلى الحق والعدالة بين الناس.. علما بأن التمثال يحتوي على رموز عديدة.. فالمرأة معصوبة العينين لأن العدالة تقتضي المساواة بين الخصوم دون أي تمييز بينهم.. أما الميزان الذي تحمله فيرمز إلى إحقاق الحق وفق القانون.. وقد تم استخدام الميزان تحديدا كبيان لثقل وقوة الأدلة التي يجب الاعتماد عليها عند توجيه أي تهمة.. أما السيف الذي تحمله (السيدة عدالة) في يدها الأخرى.. فهو يشير إلى العقوبة الرادعة للجاني والاقتصاص منه.. وكما هو واضح فإن اللفظة الإنجليزية لكلمة (عدالة) (Justice) قد تم اشتقاقها من اسم الآلهة (Justitia) أيضا.

[←9]

(9) نسمع كثيرا بلفظة (عصامي) ونشير بها دوما إلى كل من يحقق المجد والنجاح في حياته بنفسه ومن دون الاعتماد على أحد.. علما بأن أصل الكلمة يعود إلى (عصام بن شَهبَر الجِرمي) الذي كان رجلا مجتهدا يعلم نفسه بنفسه.. حتى أصبح (النعمان بن المنذر) -وهو أحد ملوك (العراق) قبل الإسلام-يعتمد عليه ويستشيره.. فقال فيه الشاعر الشهير (النابغة الذبياني) بيت الشعر:

نفس عصام سودت عصاما... وعلمته الكر والإقداما

وصيرته ملكا هماما... حتى علا وجاوز الأقواما

أما عكس كلمة (عصامي) فهي (عظامي).. وذلك نسبة إلى كل من اعتمد على عظام ورفات آبائه وأسلافه في اكتساب مجده، دون أن يبذل في ذلك جهدا.

[←10]

(10) رغم التطرُّق إلى شرح مصطلح (غسيل الأموال) (Money Laundering) في إصدارات سابقة للمؤلف.. إلا أننا نعيده هنا للفائدة والتذكير.. فعملية (غسيل الأموال) في واقع الأمر تعد جريمة في معظم دول العالم.. إذ يسعى خلالها اللصوص والمجرمون إلى إضفاء شرعية قانونية على أموال حصلوا عليها بطريقة غير قانونية.. كأن يتم استخدام مبلغ ضخم تم الحصول عليه من خلال تجارة المخدرات مثلا لتأسيس مشروع تجاري قانوني.. مثل إنشاء مصنع أو شراء عقارات.. إلخ.. وسبب قيام اللصوص والمجرمين بهذا الفعل هو لتسهيل عملية تصرفهم بالمال المسروق، كون معظم البنوك في العالم لا تقبل أي إيداعات في حساباتها إذا كانت تتجاوز 10 آلاف دولار أمريكي من دون تحديد مصدر الأموال بدقة.

[←11]

(11) يجب التنويه أن (القتل العمد مع سبق الإصرار والترصد) يطلق على الجريمة التي يتم تنفيذها بعد تخطيط مدروس.. أما لو توافرت نية القتل بدون تخطيط مسبق -كما هو الحال في قصتنا-فيطلق عليه (القتل العمد دون سبق الإصرار والترصد).

[←12]

(12) حقيقة.. والحديث هنا عن قانون الأحوال الشخصية في دولة (الكويت) والذي لا يمنع الميراث عن القاتل إذا كان القتل خطأ أو في حالة الدفاع عن النفس.